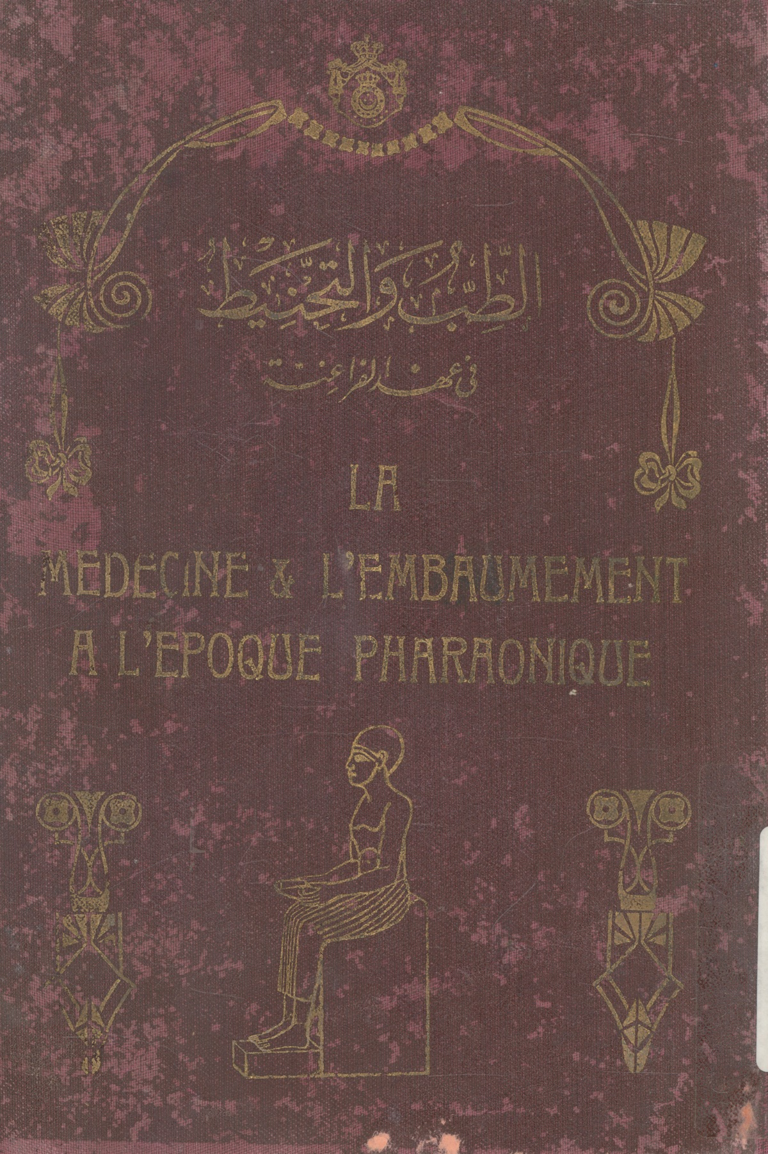

الطب والتحنيط
في عهد الفراعنة
LA
MEDECINE & L'EMBAUMEMENT
A L'EPOQUE PHARAONIQUE





الطب والتحنيط

فى عهد الفراعنة

تأليف

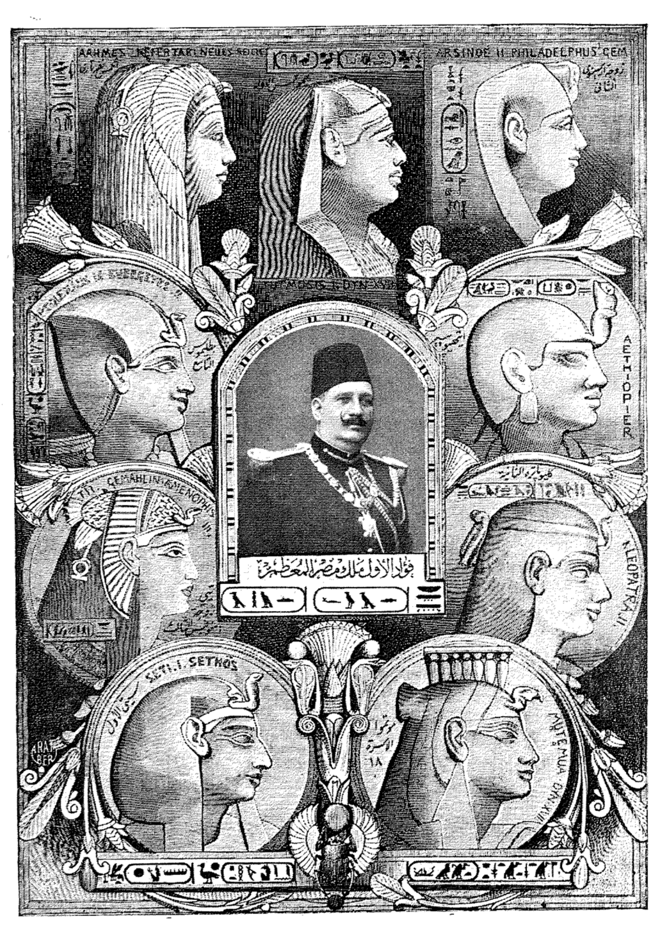
(الطب)
الدكتور يوليوس جيار
(Dr Jules Guiart)

(التحنيط)
الدكتور لويس ريتر
(Dr Louis Reuter)

(تعريب)
انطون زكرى
بالمتحف المصرى

طبع بمطبعة السعادة سنة ١٩٢٦





لمصر الفخر بأن صاحب الجلالة فؤاد الأول أول ملك حكم عليها بعد دول الفراعنة المرسومة صور عظمائهم حول رسمه الشريف كالنجوم حول القمر الأسنى



مؤلف كتابي
الأدب والدين عند قدماء المصريين ومفتاح اللغة المصرية القديمة
ومعرب
الدليل المصري للمتحف المصري

مقدمة

من وسائل التيمن فى الاعمال المجيدة عند الشروع فيها البدء بذكر الله تعالى التماسا لاعانته الالهية فى اتمامها وفى الوصول الى المقاصد الشريفة المرجوة منها وفى اتيانها بالثمرات المقصودة ليحمد اجتناءها الخلف عن السلف ، سواء فى ذلك ما كان من الآثار العلمية العامة كوضع المؤلفات فى الفنون والعلوم المتنوعة التى لم يبخسها حقها مرور الاجيال ، أو ما كان خاصا بمبحث معين فى علم معروف يحتاج الناس الارتشاف من مناهله وطلب المزيد فى الاقتباس منه ، فان سواطع العرفان يفيضها الله على الالباب بقدر ما أعدها له من وسائل الارتقاء واستقراء المباحث واستظهار الحقائق

ولا ينبغى لمن أوتى حظا من سعة المواهب الفكرية مهما كانت براعته أن يحدّث نفسه بانه قد احاط بكل شىء علما ففوق كل ذى علم عليم

وانى احمد الله على أن ألهمنى حب الاطلاع على ماتصله استطاعتى من آثار الاول العلمية والاستفادة من فرائد مؤلفاتهم النافعة،وحبب الىّ أيضا أن اجعل جمهور القراء شركاء معى فى الاقتطاف من أطيب الثمرات لاننى أزداد بتشجيعهم اقداما فى القيام بواجبات الخدم العامة التى يجب ان يؤثرها الانسان بانصاف فطرته على مطالبه الذاتية

وواضح أن تبادل الافكار بالبحث والروية عما حوته الاسرار الكونية واستودعته صدور المؤلفات الناطقة بفضل ذويها يعدّ افضل ماتصبو اليه الفطن وتحرص عليه رغبات الفضلاء المخلصين الذين يبذلون وسائل التعاضد طبق ما ألفوا باخلاص عزيمة ووفق ما امتازوا به من حسن النية تعشقا فى الفضيلة التى تدعو

اهليها لتنشيط العاملين أملا فى نهضة الناشئين حتى لا يتطرق اليهم الملل ولا يعتريهم الفتور أو القنوط

فالتشجيع الادبى هو المهاد الذى يكفل النجاح بين الطبقات وتتوفر به اسباب التقدم .وكلما زادت هذه الروح الادبية سريانا وتمكنا فى النفوس، استطاع كل عامل على قدر طاقته اظهار مايجول فى خاطره من الرغبات السديدة التى يسعده الحظ بالاستباق اليها توصلا لصالح المجتمع العمرانى الذى هو فرد من مجموعه

فوثوقا بما أشير اليه من هذه الحقائق الساطعة، أرجو من جمهور القراء انصاف العواطف وتسامحها اذا تقدمت اليهم ببضاعة مزجاة، مؤملا ارتياحهم الى حسن المقصد فيما أتوخاه حتى يكونوا بذلك عونا لى فى الوصول الى الاكمل واليهم مرجع الشكر

والذى أتشرف بأن ازفه الآن الى جمهور القراء هو ملخص شامل لكثير من فرائد الفوائد عن علْمى (الطب عند قدماء المصريين والتحنيط بأنواعه فى أيامهم وفى العصور التالية) وهذان العلمان من أنفس الفنون الراقية وفى الالمام بهما مزية أدبية يشتاقها البحث الموصل لتقدير آثار الاول حق قدرها وتؤدى لحسن الاقتداء بهم فى الفضائل العلمية التى هى عنوان الجدّ والسعادة للامم

المترجم

انطون زكرى

أمين مكتبة المتحف المصرى





الطب



عند قدماء المصريين

الطب هو أشرف العلوم العمرانية والانسانية باعتباره العلم النافع الباحث عن صحة الابدان وسلامتها وطرائق علاجها من العاهات والامراض عارضية كانت أو غيرها ،فلا يستغنى عنه أحد فى الوجود مع العلم بان سهولة الانتفاع به تتفاوت بين الطبقات، فهو بالاجماع أولى العلوم بتوجيه الهمم وبذل المجهودات لتوسيع نطاقه العلمى والعملى .

ومقصدى فى هذه العجالة ان أتقدم الى القراء بملخص ترجمت به كتاب الدكتور يوليوس جيار(Jules Guiart) معلم تاريخ الطب فى جامعتى ليون وكلوج (Cluj) من أعمال رومانيا وهو أيضا عضو فى جمعية اكادمى الطب

تكلم هذا الاستاذ الذائع الشهرة العظيم الخبرة المتضلع فى كتابه هذا عن الطب عند قدماء المصريين باللغة الفرنسية باسلوب جمع لباب الفوائد .

وما أحوجنا بصفتنا أفراد سلالتهم الى الوقوف على كل مايؤثر عنهم من المؤلفات تاريخية أو علمية ليقتبس الفرع عن اصوله مايزيده تبصرة فى شؤون الحياة ووسائل الارتقاء ولا ريب فى ذلك ؛ فكم أوصل الاكتشاف العصرى بتدرجه فى الاجيال الى نفائس ودقائق من أثارهم

الباهرة وعلومهم الوافرة ، وهى اللسان الناطق ابد الدهر برسوخ اقدامهم فى ميادين الجهاد العمرانى ونبوغ مداركهم فى الفنون العرفانية التى امتازت بها أجيالهم الزاهرة ولا يباريهم فيها سابق أو لاحق .

تناقلت أخبار الثقات وأقلام الباحثين والمؤرخين تفصيلات كبرى متوالية عما اظهره بحث العلماء وجهاد المطلعين من آثار متنوعة فى أقاصى البلاد والمغاور والفلوات وكهوف الجبال وقممها، ومن بينها ماوجدت نقوشه فى جدران معبد ادفو ودار كتب المعبود حورس التى كانت بجواره وكثير غيرها من المعابد والهيا كل ؛ والمغارات لم تكن خالية من أماكن شيدت للاحتفاظ بكتبهم ومؤلفاتهم الثمينة؛ وقد لعبت بها ايدى الدمار وأخنى مرور العصور على ما كان لها من بقية . فلم تقف الآن على البعض من أسماء الامكنة التى كانت آهلة بانفس الذخائر حتى كأنما بطون الارض غاضت بما كان فيها غيرة عليها واشمئزازاً من جهل الانسان وعدوانه على بنى نوعه وتكريما لهذه الصناعات والفنون من أن تصبح فى حوزة غير الاكفاء فيسيئون استعمالها منتبذين واجبات الامانة ومقتضيات الحكمة والفطنة

يحزننا أن نروى هذه الحقائق والاسف ملئ جوانحنا لان اعتساف الظروف فى الفترات الغابرة جعل عناية الظافرين فيها محصورة على الارهاق بجبروتهم وانصراف اراداتهم الى استمرار الشعوب فى جهالتها ليدوم لهم بذلك استرقاق النفوس وتسخير الاجسام، ولم يعبأ المسيطرون بدور الكتب ومحتوياتها، بل عمد البعض الى احراقها وتدميرها ، ومنهم من كان يلقيها فى لجج البحار لتسير فوقها الدواب كالجسور والبرازخ بين

الجهات .فلو أبقت لنا الغيوب ولو جزيئات من هذه الكليات لتكفلت بأقوى وسائل السعادة وكانت لدينا الآن سراجا نستضيء به فيما تزداد حاجتنا اليه كل جيل عما قبله، وكنا بها نفاخر باستحقاق وشمم جميع الشعوب الذين للآن لم يبلغوا عشر معشار ما كان لقدماء المصريين من سمو الفطنة وعلو الهمة فى الحضارة والمدنية

فأشار المؤلف فى كتابه المذكور بعد اطناب فى هذا المعنى الى ان الصدف أوقفت الباحثين على بعض اوراق بردية فى فنون الطب كاوراق إبرس وبرلين وليد واكسفورد اماطت اللثام عن بعض مكنونات واطراف من علم الطب عند قدماء المصريين وهى على عظم أهميتها التاريخية والعلمية لاتزيد عن كونها آثار اقدام تدل على مسير طويل

ثابت بالاستقراء أن مصر كانت مهد الحضارة واليها يرجع فى وسائل الارتقاء العمرانى ، وأن منها كان استمداد كثير من الشعوب القاطنة على شواطىء البحر الابيض المتوسط ، كأنَّ لطبيعة الموقع مع استعداد القاطنين به تأثيراً فى القوى النفسية وسعة المدارك وتوقد الاذهان فتنبعث بهذه المزايا الى ماتهيئها له حمية الفطرة مفضلة التعمق فى الفنون والمعارف التى هى نور الارتقاء عن التسفل فى حضيض المزريات المهلكة لمن انهمكوا فى أرجاسها ، الذين ساءت عقباهم وأفل نجم سعودهم. وتاريخ مصر فى الارتقاء العمرانى لايقل عن خمسة آلاف عام كان فيها ابناؤها يرتعون فى نعيم البحبوحة والرخاء والرفاهية والسعادة . وفى ذلك الوقت كان كثير من الامم الاخرى على منتهى السذاجة والخشونة . وأول من تلقى عن قدماء المصريين وشعبهم المجيد العلوم والصناعات أهل أوربا

الجنوبية كاليونان والرومان وغيرهم الذين نقلوا أحاسن الحضارة والمدنية الى أوربا الغربية وبواسطتهم سرى ذالك الضياء الوهاج الى فجاج كانت بينها وبين شعبنا النابغ حجب التنائى وتقاطع الصلات

فمصر التى ثبت لها حق السبق وفضل التفوق فى العصور الاولى بالفنون العمرانية والعقلية والاقتصادية ثبت لها كل هذا الفضل على جميع الامم فى علوم الطب التى هى أهم عماد للكيان الانسانى منذ المهد الى اللحد .

مبدء الطب عند قدماء المصريين

حاجات الانسان فى أدوار حياته تحمله بقوة الادراك على معالجة مايصادفه من الصعوبات فى شؤونها تخفيفا لآلامه بوجه عام، فيكابد مايرشده اليه إلهام الفطرة لتذليل المصاعب وابتكار الوسائل ابتكارا أوّلياً حتى اذا افلح اجتهاده فى احداها يوما ما، حاول التحسين فى الاسلوب توسلا لزيادة المنفعة متنقلا فى التجارب بالتفاهم والاسترشاد ممن حوله الاكثر ممارسة فى الاعمال والاقدم منه عهدا فيها . وهكذا يتدرج الانسان بحكم التطورات الى التوسع فى التصورات وابراز المبتكرات فرحا بما ينجح فيه اختباره مغتبط الحال والضمير بحسن ابتداعه وبنشر اختراعه والتشويق الى الانتفاع به . وبتوالى العناية والاستباق فى هذا المضمار امكن التفنن فى المخترعات وحبب الى النفوس الابتداع الصناعى بانواعه ،والاستعانة به فى الضروريات العمرانية التى أحدثها البعض واستحسنها غيره وشاع استعمالها تنشيطا وتقليداً حتى اشتد التقليد فى

العادات واوجب على البعض التقيدفى مقتضاها بما لم تكن اليه به حاجة
وما قيل عن التطورات الانسانية فى الشؤون العامة وحب الاقتداء (بمن
تقاصر بهم الحظ) بذوى الاقدام واولى السعة ، وفى اقتباس ماتدعو اليه
حاجته من الفنون والعلوم النافعة يقال باذعان عن الطب وعلومه الهامة
الذى هو أشد مايحتاج اليه الافراد والجموع والآحاد والملوك . وبقدر
هذا الاحتياج الملازم لادوار الحياة فى كل زمان ومكان تندفع الرغبات
الى تلقى قواعده العلمية لتدفع بها آلام الاسقام وخطر الامراض الفتاكة

ومن المسلمات الفطرية ان لكل مرض علاجا الا الموت. فالانسان
يجبره حبه للحياة وحرصه على المزيد من أيامها لمواصلة البحث للتخلص
مما يعتريه ولينجى عشيرته وأعزته بما استطاع به درء السوء عن نفسه،
فالوازع الجبرى على الاستفادة بالطب من هذه الوجهة يعادل الحرص
الدائم لصون رمق الحياة من التلف بالوسائل الممكنة . فلكل شعب
ولكل اقليم حرص متواصل على الانتفاع بالمألوفات عندهم للعلاجات
الطبية واستعمال العقاقير الملائمة لامزجتها باقتضاء عناصر التكوين
وقابلية الطباع .

وللمؤرخين وكبار العلماء آراء كثيرة فى الكيفية التى بها رسخت
فى الأذهان طرائق العلاجات الطبية النافعة وخواص العقاقير وحصر
انواع معينة منها للتداوى بهافى امراض معدودة دون غيرها واساليب
التحليل والتركيب والمزج الى غير ذلك مما تكفلت بخوض عبابه المؤلفات
الفنية التى جادت بها على الامم قرائح الباحثين والمنقبين الذين كثيراً
ماتجشموا الصعاب واقتحموا المشاق والاسفار للعثور على مايتممون به

مأموريتهم العلمية فى استظهار خواص النباتات التى أودعها فيها خالق الكون وهو الاله القادر الذى بيده المحيا والممات

وفى جملة مايحسن ايراده بصدد هذا البحث المفيد مانقله المكتشف الشهير والمؤلف الكبير سترابون الجغرافى اليونانى الذى كان من اكابر العلماء الاجلاء فى القرن الاول للمسيح اذ قال ان قدماء المصريين فى مبادئ ادوارهم كانوا لا يستكبرون عن استقصاء طرق البحث والتقاط الحكمة اينما وجدت ولو من افواه العامة ، وخصوصا فى علاجات الامراض المجهولة لديهم لاعتقادهم ان الشوارد العلمية القويمة التى لم تصل اليها احاطتهم قد تكون من المعلومات المتواترة عند أهل البادية والقرى النائية بواسطة المخالطة لكبار الرحالة المتجولين فى الاقاليم أو فى ذاكرة الكهول الذين تزودوا من السنين الطوال بتجارب علمية عملية لا تقل أهميتها اعتباراً عما يقرره فحول العلماء فى فنونهم المتفرغين لها . فكانوا اذا أصيب أحدهم بمرض وتعاصى عليهم علاجه يضعونه فى أشهر الميادين وأبواب الوصول الى المدائن والطرقات الموصلة الى المجتمعات العامة ويبقونه فى كل جهة زمنا يناسب كثرة المارين بها ليرى الناس فى ذهابهم وايابهم أولئك المرضى ، ومع كل مريض حارس يصف للرائين مبادئ الاصابات وسير المرض وعوراضه الملازمة والزائلة . وكان من عادات القوم حب الاستطلاع فالحارس للمريض يتباحث مع كل زمرة تلتف حوله عما قد يكون فى ذاكرتهم علميا أو فى تجاربهم عرفيا عما يشابه حالة المريض وطرق المعالجة التى أوصلت للشفاء من مثله

وكان حب القوم للاستطلاع بهذا الاسلوب غريزيا ومقترنا بالعطف

والرأفةومشاطرة أهل المريض فى آلامهم ولهذا كانوا يقدمون معلوماتهم بصراحة واخلاص ووضوح تام فيتلقاها حارس المريض بأذن واعية وقلب سليم ويبادر بتنفيذها تشوقا لشفاء المريض .

وكانوا بقوة ارتباطهم يحرصون على تدوين المواصفات والتجارب ويلقنها عارفوها لغيرهم حتى كأنما العلة التى أصابت أحدهم جاءت مهادا وسبباً علنياً للشفاء عند كثيرين باستعمالهم المعالجة التى تلقاها، فيرشد اليها الغير قياما ببعض الشكر لله تعالى على منة الشفاء وعلى حسن الالهام الى مابه نجحت المعالجة . ولا غرابة فى ذلك فلقوة الارتباط القومى فى صوالح الشعوب وتعاونها ببعضها مالا تحصره الاقلام

ومن هذا البيان نتأكد أن علم الطب كباقى العلوم الوضعية المرتبطة باحتياجات الحياة وضروريات الفطرة منشئوه التجارب والممارسة والثبات فى الاكتشافات والاستمداد من الحوادث فى الارشادات التى يجب الاذعان لها بامعان الروية والتطبيق العملى فى الاسباب والنتائج لكل ذلك وتقدير كل بارقة علمية حق قدرها مهما كان مصدرها .

ولما امتاز به قدماء المصريين من المكابدة الصادقة فى تلقى وتدوين الفنون النافعة وتعليمها لنجباء ابنائهم الذين يتوسمون فيهم الاستقامة والامانة قد وضعوا ماثبت عندهم علمه ونفعه عن أمراض كثيرة وعوارض الاصابة بها وادوار شدتها والنقاهة منها وطرق معالجتها ووسائل التوقى منها فى مذكرات صحيحة الاسانيد مذيلة بالنتائج القويمة ،وتواصوا على تدوينها فى سجلات بعيدة عن العبث والتلاعب وايداعها فى كفالة المسيطرين على المعابد والهياكل، وقرروا أن يباح الاطلاع عليها لمن يشاء

تحت رقابتهم (ولا تنقل من أماكنها)وأن يتلقى الطلاب من الكهنة كل
ارشاد عن تركيب العقاقير ومعرفة اقواها فعلا واقربها نفعا وتأثيراً
وهذه السجلات باستمرارها فى حوزة الكهنة واكثارهم مطالعتها
وتدوين مايستجد من كل نوع بالسجل المخصص له جعلت اولئك الكهنة
كاطباء اختصاصيين فى امراض عديدة وزادت فى مكانتهم عند الشعوب
سيطرة ورهبة ، ومنهم من كان يستفيد بها فى أن ينتحل لذاته اسراراً
روحانية طلبا للمزيد من وفرة النذور واكتناز الاموال (ولا عجب فى
ذلك فان حب الدنيا رأس كل خطيئة)
بعد أن مكث هؤلاء الفضلاء على تدوين المعلومات بتلك الطريقة
بعض الاجيال ، رأى المفكرون من خلفهم جمع شتاتها وتدوينها صوراً
متعددة لادخارهافى الاماكن التى يكثر ترددالزائرين اليها فى المواسم والاعياد
ونحوها عليها تسهيلا لاقتباس المحتاجين منها فى كل شيء حسب الطوارىء
عندهم ،وسموا تلك المجموعات الثمينة (الكتاب المقدس) واشتهر عندهم
بكتاب امبر (Ember) ونسبوه للمعبود تحوت واتخذوه كقوانين
أساسية للفنونوالعلوم الطبية ، وغرسوا فى الاذهان أن مصدره وحى
إلهى فلا يجوز لاحد فيه تغيير ولا تبديل ، ولا مسئولية على من
يباشر علاج انسان اذا أبطأ فى الشفاء مادام مؤديا نصوص الكتاب كما
هى ،أما اذا خالفها فى شيء وحل بالمريض أى خطر فجزاء المعالج بعد ثبوت
جريمته اعدامه على مرأى من الناس ليتعظوا حتى لا يفرط المؤتمنون
على الارواح فى اسعافها بما تحتاجه طبقا للقواعد العلمية الثابتة
وبرسوخ الاحترام فى النفوس لهذا الكتاب لم يستطيعوا توسعا فى

الاختراع والاكتشاف ومكثوا على ذلك زمنا مديداً لان هذه الطريقة وان كانت تعد بطيئة فى النمو الفنى الا أنها كانت مسندة الى تجارب قويمة وارشادات صحيحة

مدارس الطب في المعابد والهياكل

بتوالى العصور ازداد القوم عناية بالعلوم الطبية وعولوا على تعميم تداولها وتسهيل تلقينها بين الاقاليم حتى لاتبقى كنزاً تحصره الصدور ويعز الوصول الى نفائسه . ورأوا أن انشاء المدارس فى عواصم الاقاليم لتلقى وتلقين هذا الفن أضمن لفائدة الشعب وأليق بخدمة الانسانية كيلا يبقى الطب كطلاسم يحتكرها أفراد ذوو مطامع يقدمون فائدتهم الشخصية عن اسعاف المرضى بما يحتاجون مهما كانوا فى أشد ظروف الخطر (كما هى العادة الممقوتة عند البعض من أبناء جيلنا الحاضر الذين توارثوا هذه الانانية الظالمة من بعض الاجانب) .

واختاروا لهذه المدارس أشخاصا من الموثوق بذمتهم وعفافهم وفضلهم المتخلقين بالفضيلة ذوى الحنان والرأفة بالضعفاء ، وجعلوا من شعارهم فى زى الخلقة حلق رؤوسهم ولبس جلود الفهد على ظهورهم واتخاذهم الثياب المنسوجة من الكتان الغليظ كشعار يعرفون به أينما وجدوا .

وبدأوا بانشاء هذه المدارس فى الجهات الاكثر شهرة وعمرانا ،وكان من بينهما مدارس منفيس وعين شمس وطيبة وصا الحجر . وكانت

المدارس الموجودة فيها كجامعات كبرى لتلقى الفنون الطبية بانواعها ثم بعض علوم اللاهوت والحساب والهندسة والفلك

ومن قوانينهم أن لا يرشح لها من الشبان وغيرهم الا من يكون كثير الصمت شهيرا بالثبات والحلم وأديت له عملية الختان ،وأن يكونوا بعد تلقى الدروس وتلقينها فى أماكن التعبد خلف المحاريب والهياكل حتى لا تدنس نفوسهم بمخالطة السفهاء فيعرضهم ذلك الى النقائص

واذا ارتكب أحدهم هفوة تمس شهرته الادبية وكرامة انتسابه الى هذه المعاهد السامية يغلظ عليه فى العقاب (وقد يؤول الى الاعدام) أملا فى أن لا يلتحق بها الا المتصفون بالفضيلة الصادقة والاخلاق المهذبة ليحسن الاخذ عنهم بالتقوى والورع ، لان الاطباء أمناء من قبل الخالق على حياة الامم فلا تكون ارواحهم العوبة فى أيدى أشخاص غير أمناء لم يزينوا علومهم بالاستقامة النفسية

ولم يكن للتعليم أمد محدود من السنين بل كان التلامذة يتلقون المبادىء الدراسية فى بعض الشهور ،ثم ينتقى الاساتذة الاكثر نجابة الى فرق اخرى يمتازون بها، وينتخبون من هذه الفرق الممتازة طبقات للارقى وهكذا حتى لا يحرم التلميذ النابغ من ثمرات التفوق ومميزات الفطنة

ومتى أتم الطالب دراسته وأدى الشهادة النهائية فى حفلات كانوا يعتنون بها لذلك تؤدى (أمام الهيكل المقدس وبين يدى الاساتذة وجمهور الرؤساء من الحكام) اليمين القانونية بكتمان اسرار العلوم عن غير أهلها وأن يؤدى الطبيب مأموريته فى خدمة المجتمع الانسانى بالصدق للجميع وبالرأفة على الفقير ويبدأ حياته العملية فى هذا المضمار بتمضية بعض

السنين فى وظيفتى الكهانة والطب ويتفرغ بعدها لعلومه الطبية

ومن المأثور عنهم إعداد عيادات فى المعابد والهياكل لفقراء المرضى ومدواتهم مجانا .وكان التلامذة لمدارس الكهنوت يتمرنون على الاعمال الجراحية وغيرها ليساعدوا فيها كبار الاساتذة عند كثرة الوافدين الى هذه المستشفيات ، ويختارون للمعابد التى بها هذه المدارس أماكن فيحاء ويقيمون حولها البساتين والحدائق الحاوية لكثير من النباتات الصالحة لتحضير العقاقير والمركبات العلاجية منها فى معاملها الفنية المخصصة لهذه التجهيزات حسب القواعد العلمية .

وكانوا يعتنون بالآلات الجراحية بانواعها ولا يبعد أن يكون ماا كتشف منها فى مدينتى منفيس وطيبة من آثار تلك المستشفيات

وكان لكل مستشفى كلية خاصة بكل مايستطاع ايجاده من الفنون العامة ، وأخصها مايتعلق بالطب ليستعين بها كبار الاساتذة فى حل المسائل الغامضة التى تمر عليهم وقت العمل . وبعد المراجعة وتمحيص البحث يدون المكلف به حقيقة ما استنتجه فى كل حادثة على حدتها ليكون ذلك بمثابة ملاحق تكميلية يرجع اليها أيضا فى مثل هذه الاحوال .وهكذا كان كل جيل يؤدى فى ادواره خدما علمية جليلة لفائدة بنى الانسان فى الاجيال القادمة .

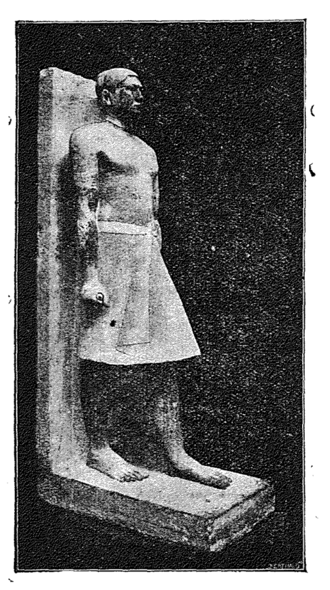
والكتب الممتازة بالاهمية والاعتبار كانت تجعل فى خزائن منفردة بمكان محفور فى المبانى . وكثيراً ماوجدت فى الاكتشافات بالمكاتب التى كانت مشيدة فى العصور الاولى اوراق عديدة من البردى مكتوب عليها فصول ذات فائدة فى علوم متنوعة تدل على حرص القوم واجتهادهم فى تدوين المباحث وترقية المعارف جهد استطاعتهم



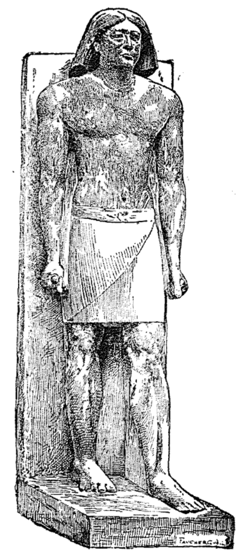
رسم تمثال نصفى لطبيب مصرى قديم من الحجر الجيرى من الدولة القديمة
أى يرجع تاريخه الى ٥٠٠٠ سنة وهو محفوظ اليوم بمتحف اللوفر بفرنسا



علامة البقاء والخلود



(تمثال رقم ٢٢٤)



(تمثال رقم ٢٢٥)

تمثالان من الحجر الجيرى وهما اكبر من حجمهما الاصلى ينسبان لرع نفر كاهن فتاح إله مدينة منفيس . وهذان التمثالان ينوبان عن جثة هذا الكاهن متى بليت لتحل فيهما روحه متى ارادت . والتمثال المرقوم برقم ٢٢٤ يمثله برأس شعره مجذوذ إشارة الى انه كاهن والتمثال المرقوم برقم ٢٢٥ يمثله واقفا متشحا بالملابس العادية . والاصل بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى القاعة C



علاقة الآلهة بالطب



مع تقديس المصريين للآلهة التي كانوا يعبدونها بوجه عام فهم كانوا يزعمون أن بعض هذه الآلهة تخصص لشيء من العلوم والحاجيات الانسانية، وعلى نسبة حاجاتهم اليها يجعلون لهم من اجلها احتراما خاصا. فكانوا يعتقدون ان إزيس وسخت وإمحوتب هم آلهة الطب وفنونه، ويصفون ازيس بانها إلهة الطب الحقيقية، وان صفاتها الجمالية كانت جذابة للارواح، واليها المرجع في كل ماحازه زوجها ازوريس من العظمة في دولته، وكانت تدعى هاتور إلهة السماء، وتدعى نيت إلهة التناسل وينسبون اليها اهتماما عظيما بالحوامل، وشيدوا باسمها معبداً خاصا معداً لتعليم القابلات وتمريض الحبالى، تقصده النساء عندما يعتريهن مرض في اثناء الحمل سواء من عوارضه أو باسباب أخرى، فتستمر فيه الحبالى ويعتنى براحتهن وتبذل لهن الادوية حتى تنالن الشفاء وتضمن حملهن بسلام

وكانت سخت تدعى إلهة الجراحة، وفي الهيكل المسمى باسمها كان يوجد معلمون لعلم الجبر يتلقاه أصاغر الكهنة حتى يبرعوا في مهنتهم لمعالجة من يقصدون التداوى فيه.

والاله إمحوتب كانوا يلقبونه ابن فتاح اله الخلق، ويمثلونه بطفل جالس يحمل سجلا من الورق البردى مبسوطا على ركبتيه، وقد شيدوا باسمه

مستشفى فى معبد منفيس يقصده المرضى من الجهات النائية لينالوا الشفاء بعد مكثهم زمنا محدودا ، وكان كثيرون من الكهنة بارعين فى تشريح الجثث وتحنيطها . واكتشف بجوار معبده مكتبة هى اشهر ما اكتشف فى تاريخ مصر القديم وبقيت الى عصر الرومان ، ومنها اكتسب اليونان العلوم الطبية وبرعوا فيها ، ومنها استخرجت ورقة برلين الطبية البردية التى كان لها شأن عظيم فى علم الطب

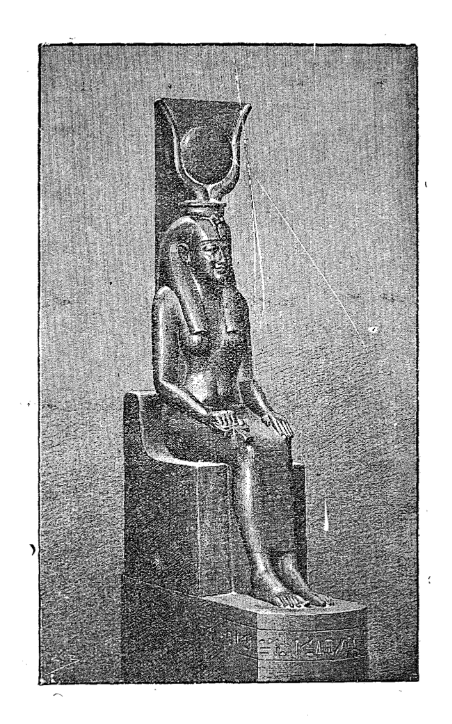


رسم المعبود حورس على شكل طفل يضع اصبعه فى فمه وهو إله الصمت ومعروف عند اليونان باسم هر پوقرات وهو اله الطب عندهم والاصل بالمتحف المصرى بالطبقة العليا بقاعة حرف P

وهكذا يعلن التاريخ الناصع أن الاحتلال الاجنبى للممالك الشرقية فى كل العصور كان يفسح لهم مجال الفرص فى اكتناز كل نفيس واقتباس كل مفيد ، ويدعون التملك لكل ما اغتصبوا ، ويزعمون لانفسهم الاسبقية والتفوق على البلاد حتى فى المعلومات المعنوية الموضعية فضلا عن الصوالح المادية العمرانية التى أمامنا منها كل يوم ألف دليل وبرهان . نعسى أن يقترب لنا الوقت الذى تحقق فيه الآمال وعد القائلين (ولا بد يوما أن ترد الودائع)

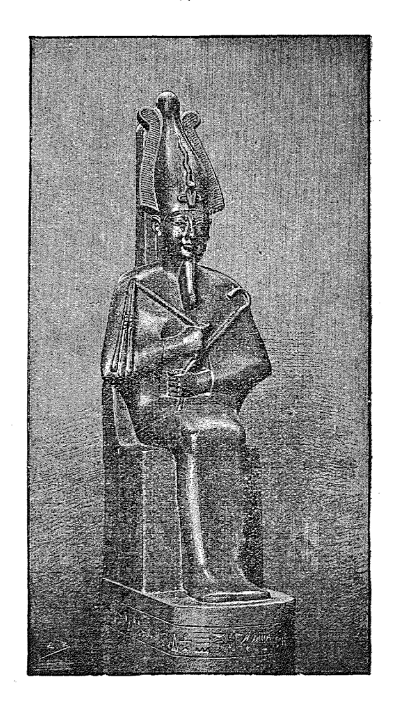
المترجم





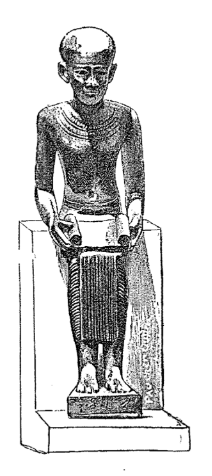
﴿ المعبودة إزيس ﴾

رسم تمثال المعبودة إزيس إلهة الطب المصرى القديم وزوجة ازوريس
كانت تعبد فى مدينة صا الحجر والنساء تزرن معبدها لتضعن
فيه وتشفين من امراضهن



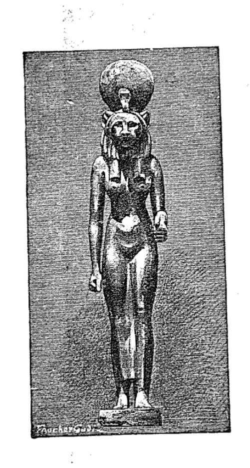
﴿ المعبود أزوريس ﴾

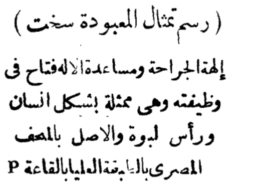
رسم المعبود ازوريس زوج المعبودة ازيس إلهة الطب المصرى القديم
والاصل بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى بالقاعة P رقم ٨٥٥ وهو مرشد
الموتى فى الدار الآخرة يمثله جالسا على شكل الاجسام المحنطة



(رسم إمحوتب إله الطب)

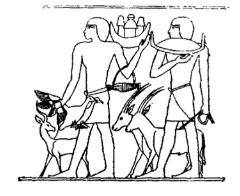
عند قدماء المصريين . والاصل
بالمتحف المصرى من البرنز
بقاعة الآلهة المصرية القديمة
بالطبقة العليا بالقاعة P

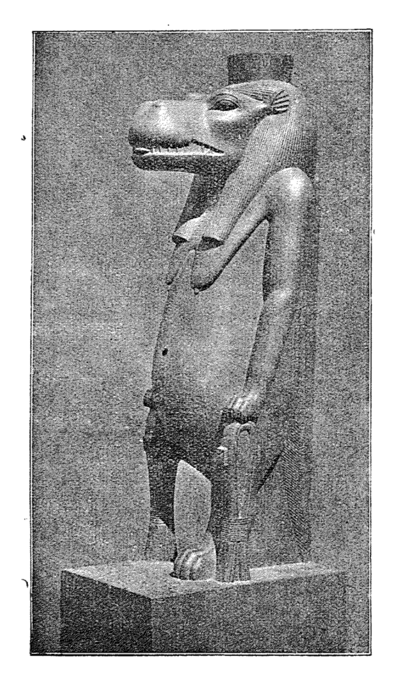




(رسم تمثال المعبودة سخت)

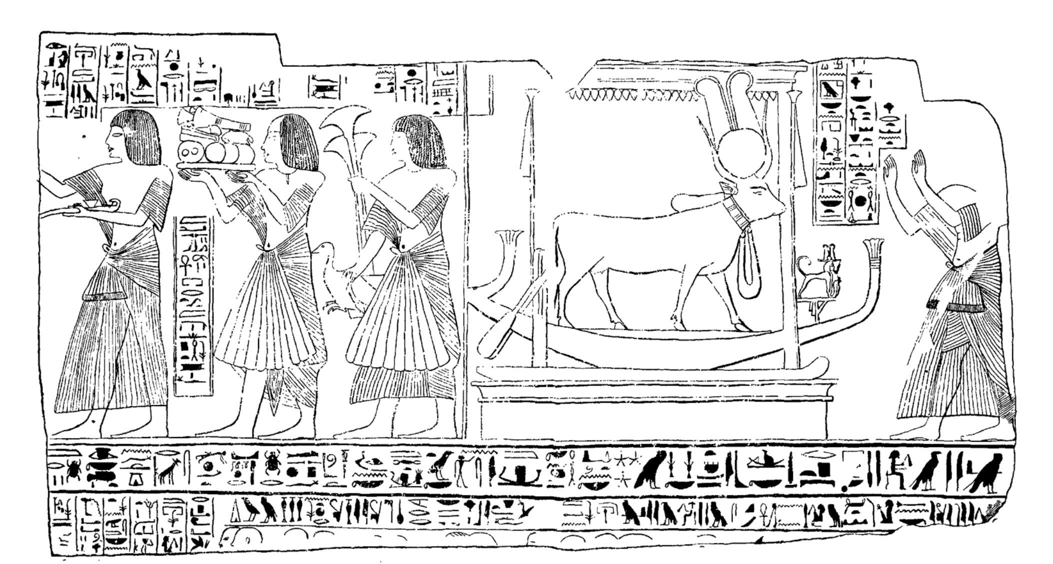
إلهة الجراحة ومساعدة الاله فتاح فى
وظيفته وهى ممثلة بشكل انسان
ورأس لبوة والاصل بالمتحف
المصرى بالطبقة العليا بالقاعة P





﴿ المعبودة توريس إلهة الحبالى ﴾

رسم المعبودة توريس على شكل جاموس البحر . والاصل من الحجر المسن الاخضر بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى بالقاعة و رقم ٧٩١ ومهنتها حفظ الحبالى مما يعرض لهن من تعب



رسم المعبودة إزيس إلهة الطب على شكل بقرة وتدعى عندهم هاتور وهى إلهة السماء



علاقة الطب بالكهنوت



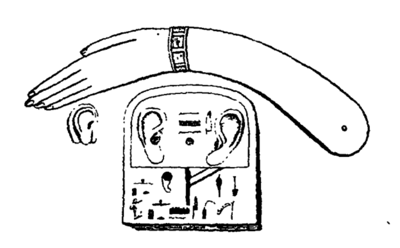
يتمسك القوم بالمبادئ الكهنوتية فى مقاصدهم الشريفة حرصا عليها من الشوائب التى لاتناسبها . وكانوا يدّعون الناس احراراً فى الالتحاق بشؤون المعايش أو الانضمام الى فريق الكهنوت ، ويميزون مهنة الطب عن باقى المهن بالاحترام والدقة ، ولهذا حتموا ان لايشتغل بالطب سواء من قبيل التلقى العلمى أو المباشرة العملية فيه الا من يكون أمضى سنوات فى الكهنوت وتحصل على الشهادات التى تؤهله لمزاولة فن الطب علمياً أو عملياً

وبمقتضى ذلك كان الاطباء على علم تام بقواعد الكهنوت ليباشروا وظائفهم بطهارة القلب ونزاهة النفس وحسن الايمان بقدرة الاله الاعلى ولهذا كان الاطباء يفضلون اتخاذ عياداتهم فى ذات المعابد أو بالقرب منها على قدر الامكان، لان الشعب وقتها كان كثير التعلق باماكن التعبد. فعندما يشعر الفرد بأى انحراف فى صحته أو اعتلال فى مزاجه يقصد التبرك باماكن العبادة ومن فيها ، فبوجود العيادات بدائرتها تسهيل على المريض والطبيب .

والملوك لثقتهم بمكانة الاطباء المشهورين بأنهم خدمة للبشر جعلوا لهم شعاراً فى زهرات الحياة ، ويمنحونهم معاملة خاصة اظهاراً للعناية بهم وبرهانا للعطف عليهم ، من ذلك اعفاؤهم من نصف الضرائب المقررة على الممتلكات بانواعها واستدعاؤهم فى الاحتفالات الرسمية ولو

لم يكونوا ذوى ألقاب مدنيـة لان لقب الطبيب كان يفوقها تـكريما واحتراما . ومن مميزاتهـم أن ينتخب أطباء الملوك الاخصاء ورجال حاشيتهم من أولئـك الاطباء البارعين وعدم حرمانهـم من التزوج اذا رغبوا فيه والاقامة بعائلاتهم خارج المعبد

وكان المألوف فى تلك العصور أن ينقدُ الطبيب أجراً ماليا عقب شفاء المريض بنسبة حالته بين قومه ، ثم عدلوا عن هذه الطريقة وقرروا أن كل مريض من بدء توعكه يمتنع عن حلق شعره أو قص شىء منه حتى يتم شفاءه . وفى يوم النقاهة يحلق شعره ويزنه بالفضة أو الذهب ويسلم كل ذلك الى المعابد التى كانت تؤدى للاطباء رواتب شـهرية نظـير حصولها على هـذه الاجور معما كان يقـدم لها من النـذور المصحوبة بصورة العضو الذى كانت له المعالجة مرسوما على الواح من المعادن لتحفظ فى الهيكل تذكارا وتبركا



رسم تذكار هدايا من الفضة قدمها قدماء المصريين للمعابد والهيا كل

وكان الاطباء الكهنة أشد الناس حرصا على كتمان اسرارهم العلمية ولا يلقنونها لغير الاكفاء

وقد ذكر هيرودوت فى كتابه عن الطب والاطباء عند قدماء المصريين ان كبارهم العلماء كانوا فى أواخر الدولة الحديثة أى القرن الخامس ق . م يجعلون لانفسهم اختصاصا فى بعض الامراض يتفرغون للبراعة فيه . فمنهم من كان للامراض الباطنية ، ومنهم من كان للرمد ، ومنهم من كان للرأس والاسنان وهكذا (فليس التخصص من محدثات هذا العصر كما يزعم البعض)

وكان العلماء من الاطباء الكهنة على شهرة عظيمة حتى فى غير بلادهم المصرية ، فكثيراً ما انتدب فضلاء منهم لعلاج الملوك الاجانب فاستوطنوا فى ممالكهم ،ومنهم من كان يستدعى لمعالجات ويعود كما حصل كثيراً فى عهد شورش وداريس من ملوك العجم ، ومن الاطباء من كان ينتدب لمعالجة المرضى والجرحى فى الحروب . ومن هذا يتضح ان استصحاب الاطباء بالجيوش المحاربة فى تنقلاتها ليس من مبتكرات العصر الحاضر بل قد سبقت اليه عناية قدماء المصريين اعترافا بفضل اطبائهم وحرصا على حياة ابنائهم فى ميادين القتال

وكان بين الاطباء المصريين من يفضل الوجود فى المدن الاجنبية التى يكثر عليها تردد التجار المصريين ليؤدوا ما يحتاجونه من المعالجة والاسعافات مجانا ، لان الحكومة كانت تمنحهم الرواتب الوافرة للقيام بذلك . ولاولئك الاطباء شهرة ذائعة فى تاريخ العالم القديم ، وتشهد

مؤلفات أهله بذلك ومنها ما كتبه عنهم هومير وهيرودوت وسترابون وديودور الصقلى

وكان لبقية البلاد مايوجد فى عواصمها من الاطباء البارعين للعلاجات المتنوعة ومن ضمنها جبر العظام ببراعة (يتوارثها عنهم بعض الخلف الى اليوم)

ولما انتشر علم الطب بين الطبقات فى خدمة الهيا كل البسيطة اكتفوا بما كانوا يتلقونه فى معالجة الفقراء مجانا بدلا من الرقى والتمائم التى كانت متبعة فى تلك الاحيان ، ولبعض البسطاء تمسك بها فى الأقاليم للآن





الاوراق البردية الخاصة بالطب

كل ما اوصلنا اليه اجتهاد الباحثين جهد استطاعة الانسان عن قدماء المصريين وآدابهم وصناعاتهم التى أعجزت الامم الاخرى يرجع الفضل فيه الى حل الرموز والنقوش التى وجدت ببعض الجدران فى هياكل المغارات وسفوح الجبال وبطون الاودية والصحارى، والى تلك الاوراق البردية التى عدت المدنية مدينة لما اودعته من دقائق الاسرار، ومنها ما كان مكتوبا بالخط الهيراطيقى بالمدادين الاحمر والاسود، وهذا الخط هو مختصر الخط الهيروغليفى الذى وفق لاستنباط حروفه ووضع ابجديتها التفصيلية المكتشف الشهير فرنسوا شاباس ، اذ هو الذى بعد طول العناء والتفرغ بمواهبه الذهنية ألهم الوصول لكشف هذه الغوامض، وباستمراره استطاع التوسع فى النتائج الهامة فأفاضت عوارفه على العالمين أهم ما استفادوه وأشد ما كانوا فى احتياج لفك طلاسمه وعنه تناقلت الالباب القواعد الابجدية لهذه الخطوط ورموزها ومغازى أشكالها التركيبية فى الوضع والانتساق بحذق ومهارة نادرى المثال . ومن الخط الهيراطيقى نقل الفنيقيون ابجديتهم التى تفرعت منها الابجدية العلمية لعلماء اليونان والرومان

وكان من بين هذه الاوراق مايمتاز بالرونقة والتذهيب والابداع فى النقوش دلالة على نفاسة موضوعاتها ، سواء كانت خاصة بالعلوم الدينية وآداب النفس أو بالفنون الطبية بانواعها فأقدرها المكتشفون حق

قدرها كما خصها واضعوها بعنايتهم فى الزخارف

وقد أكثر المؤلفون فى كتبهم من التمدح بورقتين برديتين طبيتين احداهما ورقة إبرس (Ebers) والثانية ورقة برلين، فالاولى اكتشفت فى مدينة طيبة سنة ١٨٧٣ وكانت فى حرز (ملف) طوله واحد وعشرون متراً وعرضه ٨٠ سنتى متراً. واجتهد فى شرائها الدكتور إبرس أثناء وجوده بمصر حينئذ لفرط شغفه بالفنون الطبية وخدمة طلابها بمثل هذه النفائس، وقد اعتنوا بحفظها فى مكتبة ليبزيج (Leipzig) وجعلوها تسعة وعشرين جزءاً ترتبت فى براويز وقاية لها، واتم ترجمتها بعده العالم الاثرى الكبير يواكيم ترجمة علمية صحيحة تسهيلا للاقتباس منها، وهى على وضع كتاب صفحاته مائة وعشرة ويرجع تاريخها الى ١٥٠٠ ق. م. والحرز الذى وجدت به فى مقابر طيبة يدل على ان القوم فى عهدها كانوا يصفونها بانها من صنع معبودهم (تحوت) وفيها ضوابط وقواعد علمية تعد من أمهات المسائل لانواع من الامراض الفاشية فى ذالك العهد كامراض العيون وأمراض النساء. وفيها فصول أخرى عن خواص العقاقير والنباتات وما يعالج به لدغ الحيات والحشرات الاخرى، والاخير منها يتكلم عن السحر وتأثيره. ولكون موضوع السحر علميا ينبو عن الاذهان ادراكه فلم يكن فى استطاعة المترجمين صوغ عباراته باجادة تقرب المعانى الى الافهام.

والورقة الثانية ورقة برلين الطبية المكتشفة بمدينة منفيس بالقرب من سقارة كانت فى حرز من الطين، وهى ذات أجزاء ثلاثة يرجع تاريخ الاول والثالث منها الى سنة ١٢٧٥ ق. م. أى الى عهد الاسرة التاسعة عشرة

والجزء الثانى بعضه يرجع الى عهد الملك حوسافيتى (Hausaphaiti) من الأسرة الأولى، وقد أتم باقيه الملك سنفرو من الأسرة الثالثة سنة ٤٠٠٠ ق .م. وهى من القسم المصرى المعد للتحف الثمينة فى متحف برلين على نمط كتاب علمى قل أن نسجت يد الدهر على منواله ، مكون من ٢١ صحيفة فقدت منها الأولى والثانية ، فيها تشخيصات لأمراض شتى وطرق متعددة لمعالجتها ، وفيها أيضا صور تذاكر طبيــة نحو مائة وسبعين بأوصاف ومعالجات وتراكيب عقاقير متنوعة لهذه الأمراض وما يناسبها ، وفى الجزء الثانى بيان خاص للأوعية الشريانية ودورة الدم وما يتبع ذلك ، وفى الجزء الثالث بحث دقيق عن الأمراض النسائية . ولغموض اصطلاحاته الفنية بنقط كثيرة فى تشخيصاتها لم يستطع المترجمون ايفاء الترجمة حقها من وضوح العبارات .

وكثيرا ما توصل الباحثون الى أوراق بردية كتبت فى عصور عديدة عن المباحث الطبية وغيرها ، ولكنها لا تضارع هاتين الورقتين فى الشهرة والقيمة التاريخية والمنزلة العلمية . ومن هذا القبيل ورقة لندن البردية التى يرجع عهـدها الى ١٥٠٠ سنة ق . م . فى الأسرة الثامنــة عشرة الشاملة للتداوى بالكى (وهو فى بعض العوارض يفيد أمزجة أفراد من سكان الأقاليم الحارة) .

اكتشف العالم الأثرى فلندرس بترى سنة ١٨٩٣ بناحية اللاهون بمديرية الفيوم ورقتين برديتين من عهد الأسرة الثانية عشرة يرجع تاريخهما الى سنة ٢٠٠٠ ق . م موضوع الأولى الطب البيطرى وموضوع الثانية الأمراض النسائية

وعثروا فى سنة ١٩١٣ على ورقة بردية بمصر كثيرة الشبه بورقة إبرس الطبية السالف ذكرها، أشتملت على بعض الأساليب السحرية وعلى طرق من أمراض متفشية وقت تدوينها. ومن قبيلها أيضا ورقة إشتهرت بورقة ليد (Leide) فيها وسائل طبية وقوانين للتوقى من الأمراض وإيقاف عوارضها ومنع انتشار العدوة ؛ وفيها شذرات تتلى لطالب الشفاء كما كان عليه اعتقاد البعض المعتادين على التداوى بالرقى والتمائم ونحوها كما سلفت الأشارة اليه

ووجدت أيضا أوراق بردية بوصف عملية الهضم والقناة الهضمية وأمراض التناسل لنوعى الانسان والأمراض البولية ونحوها . وتصف أوراق بردية طبية أخرى الكبد وخواصه، وان منه تنبعث الصفراء وعوارضها، وكل ذلك من الأدلة الحسية على إهتمامهم بعظائم العلوم، ومن بينها الفزيولوجيا والتشريح حتى توصلوا إلى اتقان التحنيط والتفرد فيه بدرجة بهرت العالمين . فكانوا غيرة على العلم وكتمانه عن غير أهله وإتقاء لما يطرأ على الجسم وقت إجرائهم التحنيط يسرعون فى عملهم وتضميد أجزاء الجسم إسراعا لا تدركه الأبصار حتى لا يعرف الأجنبي شيئاً من مهارتهم، ولا يستطيع مسترق السمع فهم كلامهم الذى يتخاطبون به وقت ذلك وهذا من مواهب الفطنة وحزامة الرأى بمكانة عظمى لا يستهان بها

وكفى انهذه الآثار مرآة ساطعة لمجدهم فتتجلى بالمفاخر أمام الاجيال ويرتد عنها طرف الدهر خاسئا حسيراً .

ومهما أطال الواصفون فى أهمية الآثار العلمية التى أكتشفت على صفحات البردى وغيره فلم تبلغ ما لباقى هذه الآثار العمرانية العديدة

من الوقع المدهش فى النفوس خصوصا ان المقابر الملكية والمعابد والآثار التابعة لها والجثث المحنطة المحتوية عليها كلها ناطقة بفضلهم وتفوقهم فى كافة العلوم الممارسين لها كالطب والتشريح والنسيج وصوغ المعادن والجراحة والغزيولوجيا وخصائص النبات وما يتعلق بالمرأة من العلوم النفسية والنفاسية والصحة والحمل والوضع والرضاع والتربية . فكل ماتدعيه الحضارة المدنية الحديثة أمام هذه الحقائق الساطعة مهما بلغ من عظم الشهرة والذيوع فى الممالك لايعد صحيحه الا التقاطا من فتات موائدهم واكتحالا بثرى أقدامهم

تذكرة طبية لنص مصرى قديم مكتوب بالخط الهراطيقى على ورقة إبرس الطبية ويقرأ من اليمين الى اليسار و إليك قراءته وترجمته بالعربية

(١) اللفظ بالعربية

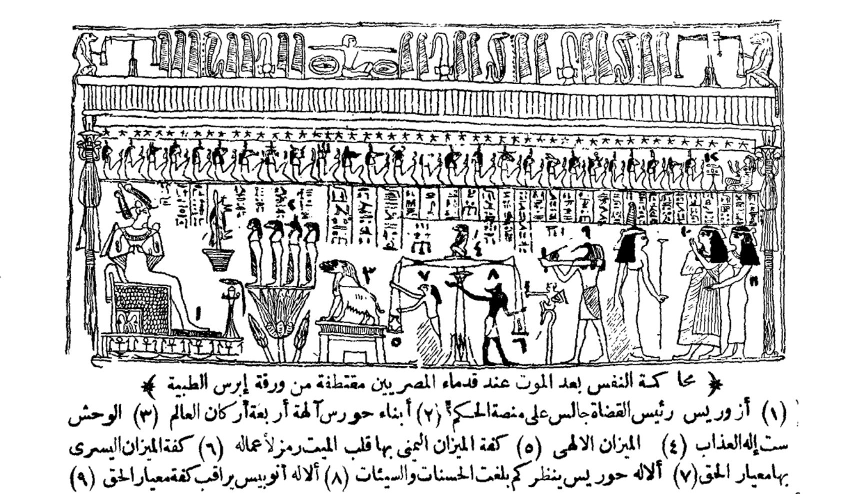
(١) ك ـ ت ن ـ تَ در كا كاو ـ ت م ع ـ ت نب ـ ت ن ـ ت س عد عش سف ـ ت خساى ـ ت حر نس ش حرتى وبد مو نز سنا اماو م خت وع ـ ت جس ام

(ب) ك ـ ت حا ـ ت مح ـ ت حسا حسمن دشر مرح ـ ت جس ام عش ـ و (عش ـ و) سب تى

(٢) الترجمة بالعربية

(١) (علاج) آخر لدرء كا كاو (ربما كان داء السرطان) من أى عضو انسان دهن الارز (١) . خشخاش (٥) (١) لسان البركة (١) . صداء الرصاص (٥) (١) اوبد (١)(دواء) يصحن ناعما وماء ويمزج معا ويدهن به

(ب) ملح بحرى (١) . سائل نيلى (١) . نطرون احمر (١) . زيت (١) يدهن به مرارا مرارا



✱ محاكمة النفس بعد الموت عند قدماء المصريين مقتطفة من ورقة إبرس الطبية ✱

(١) أزوريس رئيس القضاة جالس على منصة الحكم (٢) أبناء حورس آلهة أربعة أركان العالم (٣) الوحش ست إله العذاب (٤) الميزان الالهى (٥) كفة الميزان اليمنى بها قلب الميت رمز لأعماله (٦) كفة الميزان اليسرى بها معيار الحق (٧) ألاله حوريس ينظر كم بلغت الحسنات والسيئات (٨) ألاله أنوبيس يراقب كفة معيار الحق (٩) ألاله تحوت قاضى الاحالة يسجل نتيجة الحكم (١٠) الروح تتبرأ من كل ذنب وخطيئة أمام رئيس القضاة (١١) المعبودة ماعت إلهة العدل قابضة على الروح (١٢) القضاة وأمامهم الروح تحاسب بين ايديهم

التشريح والفزيولوجيا

كان من نهضة قدماء المصريين فى سائر الفنون العلمية والعقلية والأدبية النفسية ان الملوك والرؤساء لا تمنعهم عظمة الملك ولا سمو المنزلة عن صرف قواهم وكل ما أوتوا من حول وطول فى طلب المزيد من السجايا الفاضلة والمزايا العرفانية. فكل ما علموا بأثر علمى جديد أو بحث عقلى مفيد حسبوا أنفسهم فى طليعة المتشوقين اليه ليبثوا فى نفوس الشعب روح التسابق الى ميادين المفاخر العلمية التى بها يقوى الملك ويعتز الشعب فخلدوا لهم فى صحف الأكوان أبقى أثر وأطيب ثناء

ومما أورده المؤرخ المصرى القديم الشهير مانيتون وأيده بلين وأولى جيل (Aule Gelle) ان ملوك الأسرة الأولى وجهوا عنايتهم الى عمليات التشريح وطرق استعمالها والامعان والتفنن فيها رغبة فى الاستكشافات الطبية الدقيقة، وترويجا لقواعد التحنيط وغرس احترامه فى النفوس منعا للاستمرار فى مقاومة وإيذاء المشتغلين به، ويستدل بذلك على ان فتح الجثث المحنطة لم يكن مما يعد جرأة على الانسانية أو جريمة يعاقب عليها فاعلوها لكونها وسيلة للوجهة العلمية من جهة وقياما بواجب التعظيم لمن يكون تحنيط أجسامهم على سبيل التكريم وحسن الذكرى من جهة أخرى. وكثير من حوادث التحنيط تشير الى اتخاذه فى عهد مضى عليه أكثر من ٥٠٠٠ سنة.

وقد استدلوا ببعض المباحث المسطورة فى ورقة برلين البردية الطبية على فصول خاصة بوظيفة القلب بين الاعضاء، وانه المسيطر فى صرف الدم

الى شريانا تها . ومنها عرفوا ان فى الدم نسمة خفية تنبعث عنها حياة الأجسام وتوليد الهواء فى الرئتين ويتنشقه القلب بالتنفس ، ومنه تتوزع تدريجيا للشرايين ممتزجة بكرات الدم ولباقى الأعضاء . فكأن هذه النسمة التى ذكرها قدماء المصريين فى مؤلفاتهم هى ماسماه الطب الحديث الاكسوجين تطبيقا لنظريتهم الأولى الفزيولوجيا وتأثيرات الهواء فى الدورة الدموية. فهم أسبق منا فى كل ماوصل طبهم إليه من القواعد الصحية لحفظ الأجسام ودفع العاهات عنها . وكل فرد فى الوجود مكلف بحفظ كيان ذاته باتخاذ ما ذكر بعناية ونظام ودقة أضعاف ما يطلبه مالك الارض لحسن نباتها وخصوبة أرضها ووقايتها من سائر الآفات الجوية وغيرها . وتوصل أيضا قدماء المصريين الى تقدير مرور الدورة الدموية بالثوانى فى الشرايين والأوردة . وترجم من ورقة إبرس الطبية مايؤيد نبوغهم فى هذا البحث الجليل وما اتخذوه بناء عليه فى تقاريرهم العلمية لتوقى من العدوة، لأن أوعية الجسم باستعدادها تسرع فى تلقى الجراثيم وفى انتشارها ان لم تستدرك فى أوائل الأمر بالمقاومات المانعة لاخطارها ، وفيها أيضا بيانات وافية تثبت ان الكبد هو معمل الصفراء ، وان عوارضها تشاهد عند البحث فى تحليل البراز وترشد الى تحديد المرض بكونه ناشئاً عن الصفراء أو عن عوارض فى الكبد

وحاشا ان تكون علومهم قاصرة على النذر اليسير المدون فى الأوراق البردية التى عثر على بعضها ، وعلمنا من بعض محتوياتها مقدار مواهبهم وسعة أحاطتهم العرفانية اذ لا يعقل ان تكون علومهم ومؤلفاتهم قاصرة على مافى هذه الصحف فقط بدليل انها شذرات مما أبقت الدهور فى جدران

ومبان تقادم عهدها ولم تحو من آثارهم وبراعتهم إلا جانبا مما دثرته الأرض تحت بطون الاجيال ، بدليل ان المعلومات الجزئيـة التى جادت الحوادث بظهور بعضها على أيدى الباحثين كانت فى فنون متنوعة تنبىء عن سعة كبرى وتضلع مزيد ، لا انها خاصة بموضوع معين تتلاقى عند نقطة محدودة فيتخذ الجاحدون ذلك كمهاد للقول عنهم بما تصوره للجاحدين جهالتهم فجهل الذاهبين الى هذا الزعم لا يزيد وزنا عن انكار الأعمى للشمس فى ضحاها.

علم الجراحة

ثبت من البيانات الماضية ان علم التحنيط الذى امتاز به قدماء المصريين وأعجزوا ببراعتهم فيه جميع الأمم من مستلزماته الأولية علوم شتى يتوقف على النبوغ فيه إتقانهم لها. فالتشريح والجراحة وعلم النبات وما يتبع هذه الفنون الثلاثة بمنزلة الوسائل الأولية له . وعـدم اشتمال بعض الاوراق البردية الطبية على علم الجراحة لا يؤخذ دليلا على عدم انتشاره فى عهدهم، اذ من المقرر فى المعلومات التى أوردناها نقلا عن أوثق المصادر التاريخية ان طبقات من الـكهنـة فى المعابد والهيا كل التى كانت تجاورها المدارس والمستشفيات فى تلك العصور الزاهرة كانوا يؤدون الاعمال الجراحية فى العيادات المجانيـة للفقراء والجماهير المترددين عليها . وكثيراً ما عثر علماء الآثار على آلات جراحية بديعة فى اكتشافات متعددة ، منها ما وجده المكتشف كومرى(Comric)فى مقابر طيبـة يرجع تاريخها الى العصر المعدنى أى سنة ١٥٠٠ ق . م .

قال بلين وديوسكوريد (Dioscoride) ان الأطباء المصريين من الكهنة لم يقصروا أعمالهم فى الفنون الطبية على علم منها دون الآخر، بل كانوا متضلعين فيها الى النهاية ولا يقفون فى التجارب والاختراع الى مدى محدود. ومن براعتهم فى تبنيج الجروح عدم اقتصارهم على مادة البنج المعروف، بل كانوا يصنعون مادة له (من الرخام المصرى أو من حجر معروف بحجر منفيس) يمزجونه بعد سحقه بالخل ويوضع على الجرح، فلا يشعر المريض بألم لا من البتر ولا من الكى. وهذا المزيج يتكون منه مبدئيا مادة حمض الكربونيك الذى له تأثير البنج فى الأجسام

رسم كف مكسور ملتصق بجبائره يرجع عهده الى الاسرة الخامسة عثر عليه العالم البروفسور سمث

وقد شوهدت بعض الجماجم المحنطة مع تلك الجثث (التى أدى اكتشافها الى معلومات جليلة طبية وغيرها) جراح ملتئمة تنبىء أنها آثار عملية جراحية وقد مضى على هذه الجثث والجماجم نحو ستة آلاف سنة

ووجد فى مقبرة بنى حسن رسم له نحو ثلاثة آلاف سنة يمثل طبيبا

متربعا يباشر عملية جراحية لمريض فى رأسه. وقال أرمند روفر إن قدماء المصريين كانت لهم خبرة تامة بالفنون الطبية والجراحية وجميع مستلزماتها، وتوصلوا بذكائهم الى صناعة ثقب عظام الرأس للاحياء واتخاذ ما تدعو الأحوال العلاجية بكل تحفظ واحتياط فى شأنها، ولاشك فى أن ثقب هذه الجماجم يستدعى مهارة أكثر مما يستلزمه ثقب اللآلىء الثمينة التى تحلى بها نفائس العقود للحسان وتيجان الملوك.

تجبير الاعضاء

مما اشتهر به قدماء المصريين فن تجبير الأعضاء، ولهم فى أساليبه براعة تامة تدل عليها المشاهدات الدقيقة المنبئة عن عمليات من نوعها أجريت لكثير من الجثث المحنطة حين حياة أربابها، فقد لوحظ فى بعضها تكسر الاعضاء الحيوية وإتقان معالجتها وتجبيرها بمعرفة أولئك الحذاق الماهرين حتى عادت فى الطول والعرض بمثابة خلقتها الأولى. وقد وجد الاستاذ إليوسميث (Eliot Smith) جثة إمرأة مكسورة الكفين كأنها سقطت من مرتفع وشاهد بها قطع خشب (المسماة عرفا جبائر) لاصقة بالكف ذات لفائف محكمة تشهد باتقان فى الصناعة ودقة فى المعالجة. وكثيرا ما وجدت فى الاكتشافات مسائل التجبير فى عظام الأيدى والأرجل والكتف والفخذ والاضلاع، ولم يكن فيما عثروا عليه أثر تجبيرات للركبة (وهى فى ذاتها نادرة الحدوث إلا فى الوقائع الحربية)

وفى القسم الخاص فى الآثار المصرية فى المتحف البريطانى توجد جثة

شاب دون البلوغ له أذنان صنعتا من القطن بمزيج الصمغ الصنوبرى. وكان من المقرر فى بعض القوانين بعصور سالفة قطع الأذنين عقابا على جرائم معينة، وكأن هذا الشاب نفذت فيه هذه العقوبة واستعيض عن أذنيه بغيرهما من هذا الاختراع محواً وستراً لآثار الجريمة من هيكله الانسانى، كما تجوز إصابتهما بحادثة استدعت بترهما، فاستعاضوهما بهذا الاختراع حتى لا تنقص التموجات الهوائية فى معاطف الآذان التى عليها المدار فى أداء حاسة السمع لوظيفتها الطبيعية. وتدل بعض آثارهم أيضا على انهم كانوا يستعملون الختان وقطع الخصيتين فى ظروف خاصة. واكتشف الأثرى لوريه فى مقبرة الأطباء بناحية سقارة رسوما شتى فى جوانبها عمليات جراحية كثيرة، ويرجع عهد هذه المقبرة لعصر تيتى أول ملوك الأسرة السادسة أى منذ ٢٦٠٠ سنة ق.م وكانت تنسب لأحد السراة فى عصره الحريصين على تخليد ذكرهم للآثار العمرانية النافعة

والرسوم التى فى الجزء الأول الى يسار المقبرة تمثل طبيبا يجرى لمريض عملية جراحية فى يده، والتى فى الجزء الاسفل تمثل طبيبا يجرى عمليتين لمريض واحد احداهما فى اليد والثانية فى القدم

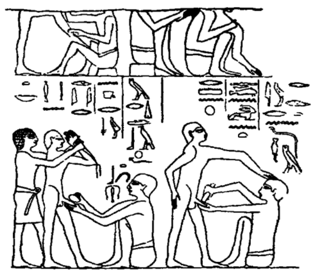
وبجانب باب المقبرة الى اليمين يرى رسم طبيبين أحدهما أمامه مريض مرتفع اليدين يقبضهما آخر، والثانى أمامه مريض غيره رافع يديه ولا يمسكها أحد. وكلا الطبيبين يؤدى لمريضه عملية جراحية فى عضو التناسل، والراجح أنها عملية ختان أخذاً من شكليهما الدالين على كونهما من الشبان، وكان من عاداتهم وقتها تأجيل الاختتان الى قرب الزواج. وهذا الرسم يمثل فى يدى الطبيبين سكينا مقبضها من حجر الصوان كالتى وجدها

المسيو لورتيه(Lortet)فى أبيـدوس المحفوظة الآن فى متحف ليون وتذكرنا أيضا بما وصفته التوراة لأنواع بعض السكاكين .

وقد نشر العالم الأثرى شاباس سنة ١٨٦١ صورة رسم فى إحـدى المجلات منقول عن معبـد خونسو بالكرنك، يرجع تاريخه الى الأسرة التاسعة عشرة أى سنة ١٣٠٠ ق.م. يمثل صبيين بين السادسة والثامنة من العمر أمامهما طبيب يجرى لهما عملية الختان ويظهر أنهما من أولاد رعمسيس الثانى مشيد هذا المعبد، وكان هذا التمثال فى العصور الماضية من مشتملاته .



رسم أطباء مصريين يجرون عمليات جراحية فى أيدى وأرجل بعض المرضى.
هذا الرسم ماخوذ من قبر الاطباء بسقارة من عهد الملك تتا الثانى أول ملوك الاسرة السادسة اى حوالى ٢٦٠٠ سنة ق .م. وترجمة النقوش المصرية القديمة المكتوبة على هذا الرسم فى القسم الأعلا من اليسار الى اليمين «أمسكه ولا تدعه أن يكون .... » والقسم الأسفل الى اليسار يقرأ من اليمين الى اليسار وترجمته « أعمل هذا واجعله ان ينتهى» والجملة الواقعة فى الوسط تقرأ من اليسار الى اليمين وترجمتها « انى سأعمل لك حسب رغبتك يا أمير » والجملة الاخيرة الواقعة الى اليمين تقرأ من اليسار الى اليمين وترجمتها « إنى أجعله لذيذا لذاتى »



ترى فى الجزء الاسفل من هذا الرسم طبيبين يجريان عملية الختان لشابين
وهذا الرسم مأخوذ من القبر الشهير بقبر الأطباء بسقاره

منشأ الختان

اختلف المؤرخون فى منشأ الختان وترجحت أكثرية الآراء القائلة بان منشأه وادى النيل بدليل الرسوم المتقدم ذكرها ، وقد عضد رأيهم هذا المؤرخون المتأخرون وفيهم هيردوت وديودور الصقلى وسترابون . وفى جملة ما استدلوا به على ذلك وجود تمثال كاهن يدعى أنيساخا (Anisakha) من الأسرة الخامسة أى منذ ٢٧٠٠ ق . م عارى الجسم مختونا وهو من محفوظات المتحف المصرى الآن بالطبقة السفلى بقاعة حرف B بالخزانة الواقعة فى الجانب القبلى رقم ١٦٢

وكانت عاداتهم ختان الكهنة فى دور الطفولة دلالة على ان آباءهم خصصوهم للخدمة الدينية ، فينشأ الطفل على التربية اللائقة بها فيحترمه خلطاؤه لأجلها. وقد روى أكليمندس الأسكندرى ان بيثاجور الكاهن لما قدم لمصر سنة ٥٥٠ ق . م وزار مدينة هليوپوليس وعلموا أنه غير

مختتن نفروا منه وطردوه من البلاد لكونه أجنبيا ولم يحترم عادات مثله فيها، فخضع للعرف المتبع وأجرى لنفسه عملية الختان. فبعد التثبت منها قبلوه فى مدارسهم ومارس طرق التعليم الخاصة وانتظم فى سر الكهنوت وتلقى عن رجاله أسرارهم البالغة وعلومهم ونال عندهم حسن الزلفى

واستمر الختان عادة اختيارية فى المصريين لمزاياه الصحية ثم أخذه عنهم الاسرائيليون وبالغوا فى شأنه الى أن جعلوه عنوانا طائفيا عندهم ومن لوازم شعائرهم الأساسية كما تؤيده الاكتشافات الدالة عليها الجثث المحنطة ويؤكده هيردوت وغيره من ثقاة المؤرخين

ونقل المؤرخ الالمانى الكبير أوفل (Oefele) ان الخصى كان فاشيا فى مصر، لان الفراعنة كانوا يتخذون أغوات خداما خاصة لنسائهم. وكان من قوانينهم اتخاذه كعقوبة لمن أكره امرأة على الفحشاء، ولهذا رأى كبار الأطباء تمرين كثير من الكهنة عليه ليكون فى جملة العقوبات التى ينفذونها على المجرمين كواجب دينى

ثم سرت عادة اتخاذ الخصيان لبعض الملوك وعند الأمراء والعظماء وألفها الرومان عند احتلالهم مصر مدة سيطرتهم عليها

الرمد ومعالجته

اشتهر قدماء المصريين بالبراعة فى علاج الرمد، براعة أوجدها فى نفوسهم توسعهم وتضلعهم فى مجموع العلوم الطبية وغيرها. وألجأهم اليها انتشار أمراض العيون فى وادى النيل انتشاراً لا يعهد مثله فى الأقطار

الأخرى كما هو مشاهد الآن . وذاعت شهرتهم لدى جميع الممالك حتى أن شورش(Cyrus) ملك العجم إحتاج فى بعض السنين الى أطباء مهرة لعلاج عينيه فلم يجد فى مملكته ولا ما يجاورها من يرتاح للثقة بهم ، فانتدب طبيباخاصا من مصر استوفده اليه ، وبعد نواله تمام الشفاء على يديه كلفه بتعليم الطرائق الفنية الحديثة لأطباء بلاده ، فأجابه لذلك خدمة للانسانية وطاعة لأمر مليك معظم أكرم وفادته وأغدق عليه نعماءه

وفى جملة النصوص الطبية المدونة فى ورقة إيرس البردية التى سبقت الأشارة اليها أحصاء لأمراض العيون وعلاجها ، ومن أنواعها التهاب الملتحمة المسبب للغشاوة والتهاب القزحية المسبب لسيلان الدموع ومرض الذباب الطائر والالتهاب الجفنى والنقطة القرنية والشطرة الجارحة والورم الصغير فى الجفون والعمى

وكانوا يسرعون فى استئصال شعرة الرمش من العين قبل تأثيرها على الشحمية بحالة تمنع عودتها كما كانوا يعالجون أمراض الجفون الداخلة ببراعة مدهشة . ومع كونها من الأمراض الدقيقة فقد لاحظ الدكتور جارينو (Guarino) فى بعض الجثث المحنطة آثار المعالجة الباهرة التى اتخذت لأمراض الجفون الداخلة التى نحن بصددها ، فكان اعترافه لهم بالفضل فيها داعيا لمزيد الاعتراف بفضله أيضا على دقة بحثه حتى فى الجزئيات الغامضة . ولم يكونوا يمنعون فى معالجة العيون من الأمراض البسيطة استعمال الكحل والمراهم متى كانت من المواد المعدنية النقية أو النباتية ومطابقة فى تركيبها للطرق العلمية .

ومع انتشار العلوم عندهم الى هذا الحد من التفوق والارتقاء الباهر

كان يوجد بين طبقات العامة من يبدأون علاجاتهم بالرقى والسحر إلتى يعتقدونها. وكذا ما كان يتخذه نساؤهم فوق العناية لتوقى أمراض العيون بكل احتياط واهتمام بالوسائل الاصطناعية لها كالحور وترجيج الحواجب وتخضير العيون ولذلك نوعان من الدهان أحدهما أخضر والثانى أسود . والأول وصفه الدكتور فلورانس (Florence) لأنه مزيج من هدر وسلفات النحاس والأسود من سلفات الرصاص المفضض . وقال بعض المؤرخين إن الدهان الأسود من الاكسيد الثانى للمنجانيز أو او كسيد الحديد او سلفات الأنتيموان . وهذا الدهان الأسود كان يستعمل للزينة والعلاج من العوارض الرمدية الاعتيادية فى ادائها

ويوجد فى متحف ليد صندوق كان فيه أنواع من التبهرج والزينة للسيدات المصريات وبه أربع عيون مكتوب عليها النقوش الآتية باللغة المصرية القديمة

(١) الدهان اليومى للأعين (٢) الدهان المخصص لزينة الأعين
(٣) الدهان الجالب للمدامع (٤) الدهان لاستجلاب الحيض فى غير أوانه



رسم المعبود حورس وخلفه أعين وأذنان ربما كان إله العيون والآذان

امراض النساء وفن التوليد

إعتاد المصريون فى عصورهم الأولى التبكير بالزواج لاعتقادهم أن به صيانة النفوس من التلوث بالنقائص ومراعاة لاستلزام حرارة الجو . وقد قال بعض الحكماء لتلاميذه ما معناه : «إن من بادر بالتزوج فى صباه وهو فى ريعان الشباب واقبال الحياة يمكنه أن يرى فى شيخوخته ذرية تسره نشأتها ويستطيع تربيتها على ما أوتى من نشاط وسعة فى الرزق فيكونون لعينه قرة ولأماله ذخراً ، ويزداد برهانا على صلاحيتهم لما يتمناه لهم من السعادة ، ويمكنه ارشادهم لما ينفع مستقبلهم ونجاح التجارب الأبوية التى يبتغيها أولو الحزم للاطمئنان النفسى على نسلهم بمستقبل سعيد يقنعه فى أنهم سيكونون له أثرا صالحا »

وكانوا لا يمنعون التزوج بالأقارب حتى توسعوا الى إباحة أن يتزوج الرجل الأخت من أمه فقط وحرموا التزوج بالأخت الشقيقة أو الأخت لأب الا عند اقتضاء أحوال خاصة فى شؤون العائلات المالكة حرصا على نظام التوارث . وتصريحهم بالزواج من الأقارب ينفى رأى القائلين بان هذا الزواج يؤدى الى ضعف فى التناسل وإحداث بعض أمراض أو يعرض صحة الزوجين للضعف أو قد يؤدى الى الجنون أو الصمم او العجز او البكم الى آخر ما تخيله أصحاب هذا الرأى الذى جاءت الحقائق مفندة له كما شرحه السر ارماند روفر فى مباحثه عن أحوال الفراعنة المولودين من زوجين ذوى قرابة ، فقد قرر أنهم كانوا رجالا اقوياء اذكياء عمروا طويلا وانجبوا

كثيراً ،وكان لأحدهم فوق الثمانية أولاد ولهذا استطاعوا أكبر الاعمال وتشييد أعظم المدائن فى العالم .ويؤيد هـذا الرأى أيضا ان الحيوانات تتناسل من أخواتها ولم ينقطع نوعها ولم يوجد بها ضعف مطلقا (يرجع منشاؤه لاحوال هذا التناسل .)

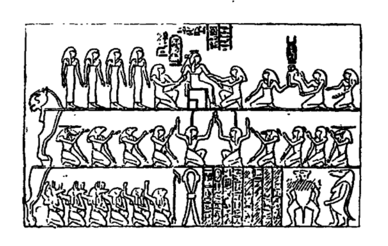
وقد وجد بين الاوراق البردية الطبية مثل ورقة إبرس وبرلين وبترى نصوص تختص بأمراض النساء كالاجهاض والسيلان المهبلى والقلق الحيضى وطرق معالجتها بما لا يتنافى مع الاكتشافات العلمية الحديثة كالحقن وغيرها مما يوصل لمنع النزيف وزوال العوارض من الارحام. وكانوا يتشجعون فى الطرق العلمية بكل التجارب المكتشفة لمعرفة الحمل والتوقى من الاجهاض والعناية بالحبالى حتى ينتهى تكوين الجنين وتسهيل الوسائل لتمام الولادة وتأمينها من كل خطر

ومما وجد فى ورقة ابرس تعليمات خاصة عن ولادة النساء تناقلتها الكاهنات عن المعبودة نيت التى لقنتها قديما للمولدات فى مدينة صا الحجر وكانت أولئك الكاهنات لاشتهارهن بالصلاح والتقوى تلقبن بأمهات ربانية

وفى متحف برلين ورقة بردية أخرى تعرف بورقة وستكار (Westcar) يرجع عهدها للأسرة الثانية عشرة (سنة ٢٠٠٠ ق . م) وفيها ما يجب الاحتفاظ به لسلامة الوالدات ووقاية الاطفال وقت الولادة وغسل المولود وقطع صرته وتطييب ملابسه بما يستطاع

وكانت توجد عندهم مقاعد للوالدات (كراسى) من ثلاثة أجزاء حجرية يوضع فوقها بعض الأثاث لراحة الوالدة وان تكون من بدء

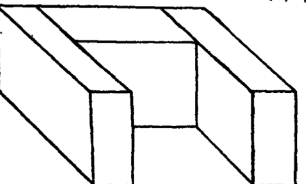
المخاض فى جلوسها على هذه الـكراسى منحنية الى الأمام وبين قدميها فضاء يساعد على انزلاق الجنين حين وضعه فتتلقاه القابلة بالتحفظات الواجبة لصيانته وراحة أمه . ويرجع العهد فى استحداث هذه المقاعد الى زمن الاسرة السادسة (أى سنة ٢٥٠٠ق . م) ولا زالت عادة الجلوس على هذه الـكراسى متبعة الى الآن مع طرق فى التحسين تتفاوت بقدر طبقات العائلات فى الاقاليم وما تؤدى اليه رفاهية السعة والاستطاعة بين الناس . ويدل على تداولها هذا الشكل المعروف فيما اعتاده الناس للوالدات وجود رسمين أحدهما فى معبد الدير البحرى الذى شيدته الملكة الشهيرة حتشبسوت منذ ١٥٠٠ سنة ق . م والآخر فى معبد الاقصر الذى أقامه الملك امنوفيس الثالث منذ ١٤٠٠سنة ق . م .



رسم ولادة الملكة موت م و ا ا مأخوذ من معبد الاقصر .



هذه الرسوم الثلاثة اشارات هيروغليفية تعنى فكرة الولادة . فالرسم المرقوم برقم (A) يرجع عهده الى الاسرة السادسة المصرية والمرقوم برقم (B) الى الاسرة ١٢ والمرقوم برقم (C) الى الاسرة ١٨



رسم مقعد للوالدة من الحجر يرجع عهده الى الاسرة ٦ (اى منذ ٢٥٠٠ سنة ق . م)



مقعد للوالدة المستعمل الآن فى الديار المصرية وبلاد الشرق وهو مصنوع على مثال كرسي الوالدة عند قدماء المصريين السابق ذكره

الرضاع والفطام

العناية بالرضاعة من الاحوال الفطرية التى خلق الناس عليها من عهد نشأتهم ، ولكن ملاحظة القواعد الصحية فى شأنها هى التى جاءت بها مدنية العصور والارشادات المفيدة وكان لقدماء المصريين القدح المعلى ولا ريب فى ذلك لان أدوار الحياة بالنسبة لكل مولود تبتدىء بعد وضعه بما يصادفه من حسن الحظ فى العناية بارضاعه . ووجدت ضمن الاوراق الطبية الأثرية مباحث كثيرة عن ذلك ، ومن بينها العناية بأمراض الثديين واستدرار لبنهما الذى هو المادة الاولى فى تربية المولود . ووجد فى كثير من المعابد المكتشفة مناظر الرضاعة والوالدات ومنها رسم ازيس ترضع ابنها حورس ورسم المعبودة ازيس أو هاتور ترضع ابنها فرعون فى صغره

والافضل طبيا لصحة الامهات ارضاعهن الأطفال تخفيفا للاحتقانات المتسببة عن احتباس اللبن فى الثدى ولتكون عاطفة الحنان مقترنة بالرضاعة فتزيد مع نمو التربية وتستديم فى القلوب الرأفة والرقة . ومهما كان حرص السيدات على رونق الزى وزخرفة الثياب فالاعتبارات القلبية أسمى ذوقاً وأرقى أثراً (المترجم)

وكان الطفل يفطم وعمره ثلاث سنوات بدليل ما جاء فى حكم آنى الفيلسوف المصرى القديم بقوله : «ان الله سخر لك أما كابدت كل مشقة حين حملتك وولدتك وأرضعتك ثلاث سنوات وربتك ولم تأنف من فضلاتك ؛ ولم تسأم معاناة تربيتك ، ولم تكل أمرك لغيرها يوما ما وكانت تبرّ اساذتك وتواسيهم كل يوم ليعتنوا بتعليمك . والآن صار لك أولاد فاعتن بهم كما اعتنت بك أمك ولا تغضبها لئلا ترفع يديها الى الله فيستجيب دعاءها عليك»



(البقرة هاتور)

هيكل كبير عثر عليه بالدير البحرى بطيبة والاصل محفوظ اليوم بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى بقاعة I رقما ٤٤٥ ر ٤٤٦ وداخله بقرة يرمز بها لهاتور إلهة الانوار السماوية وهى تقود الموتى الى مملكتها حيث يلحقون بابنها حورس معبود الشمس وتحت رقبتها تمثال صغير للملك تحوتمس الثالث وتحتها صورة هذا الملك يتلقى اللبن من ضرعها (الاسره ١٨)

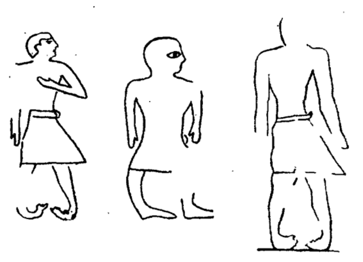
أمراض متنوعة عند قدماء المصريين

كانت بوادى النيل أمراض منتشرة جعلت علماء الطب فى ذاك الحين يبذلون عنايتهم فى تشخيصها وعوارض اصاباتها ووسائل التوقى منها وطرق علاجها باعتبار التأثير الذى يتفاوت فى بعض الاجسام قوة وضعفا

وكان من أكثرها انتشارا انتفاخ القلب واستسقاء التامور وفقر الدم والحمى البطاحية والتهاب الامعاء والبواسير والدمامل وكثرة البول والسلس البولى والبول الدموى والصداع وأمراض الأذن والاسنان والشلل والحمرة والنقطة كما تدل عليه الأوراق البردية التى اكتشفت فى تواريخ كثيرة، وعلى قدر انتشار هذه الأمراض كانت عنايتهم بتجديد العيادات والاكثار منها فى الأقاليم

وكانت للأطباء براعة بحذق الفطنة وقوة الالهام فى تشخيص الأمراض عند رؤيتهم للمريض فى المرة الأولى علاوة على ما يظهر لهم من هيئته ولونه واختبار أعضاء الجسم والجلد والشعر والأظافر وتحليل البول وغيره والتدقيق فى فحص الاجزاء المستترة بكل الوسائل حتى الحوايا والاعضاء الحيوية بداخل البطن ليس باللمس فقط بل باستعمال الطرق الفنية عند الحاجة اليها .

وبواسطة ما بذلوه من اكثار المستشفيات والعيادات ومواصلة المباحث أتقنوا علاجات باهرة فى ابراء كثير من الأمراض كان لهم الفضل الأوفى فى نجاة أصحابها من أشد الأخطار وفى الجثث المحنطة



رسوم موجودة فى مقابر بنى حسن يرجع تاريخها الى ٢٣٠٠ سنة تمثل ثلاث اشخاص مصابين بالكسح .



رسم جثة كاهن للمعبود آمون (الاسرة ٢١ اى منذ ١١٠٠ سنة ق . م) مصابة بداء احدى عظيمات العمود الفقرى وعرف هـذا الداء بمرض بوت (Pott) نسبة الى مكتشفه طبيب انكليزى



رسم شاهد قبر الكاهن المدعو روما (الاسرة ١٨) والاصل بمتحف كوبنهاج (الدانمرك) تشاهد فيه صور هذا الكاهن وزوجته خلفه وابنهما بحجم صغير . ويفهم من هذا الرسم ان الكاهن كان اعرج ومنه يستدل ايضا على انه كان مصابا بشلل الاطفال

والهيا كل الجسمانية المحفوظة بمتحف مصر والاسكندرية أكبر دليل على ذلك ومثلها المقابر الأثرية بالوجه القبلي الحاوية لكثير من الجثث، واتضح انها كانت مصابة بأمراض مختلفة ذكرت تلك الأوراق البردية الثمينة تفصيلات جمة بشأنها .

ومما هو جدير بالذكر والأعظام فى تاريخ العصر الحاضر ما نتج عن بناء خزان اسوان الذى بسببه اكتشفت أراضى كثيرة كانت تحت مجرى المياه واكتشفت بسبب هـذا الخزان لان موقعها منع عنها الماء بسبب حجزه وتحويل بعض المجارى عن الاتجاه القديم ،فاهتمت الحكومة بعد سنة ١٩٠٧ بانتداب لجنة أثرية لفحص أحوال تلك الأراضي واكتشاف ما قد يوجد فى خباياها . وتوصلت هـذه اللجنة لاكتشاف كثير من النفائس الأثرية والمقابر المحنطة بجثث كثيرة. وتوصل الأستاذ (اليوثمث) بمعونة (وود جونس Wood Jones) لاستخراج كمية كبيرة من أعضاء الانسان يرجع تاريخها الى عصور وجدت قبل التاريخ ،وبفحص الأعضاء والجثث المذكورة تبين انها كانت مصابة بأمراض متنوعة، كما انه يوجد بين أيدينا الآن جثث مشوهة فى اليدين والرجلين وبعضها مقطعة الأطراف مما يعد دليلا قطعيا على كونها نشأت عن عوارض البرص ونحوه ، وفى بعضها أمارات دالة على اصابات زهرية وجدرية والسل الرئوى والطاعون الخ

والحالة الجسمانية للجثث التى بها هذه العوارض لم تتحول عن هيئتها الطبيعية فى التركيب والمتانة، ولكن الجثث التى يرجع عهدها للدول الحديثة دلت حالة اسنانها على وجود عوارض التسوس فيها .

وقد زعم بعض المؤرخين انه لم يوجد فى آثارهم مايدل على معرفتهم

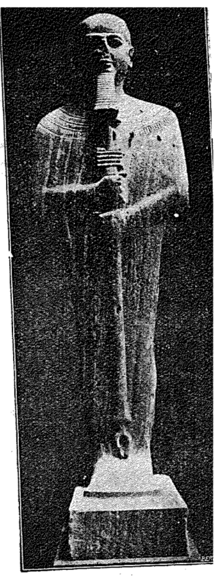
بصناعة تذهيب الاسنان المجوفة ، وقد فند هذا الرأى علماء الآثار باكتشافاتهم الحديثة وما وجدوه أخيرا فى اسنان بعض الجثث اذ وجدوا فيها سنة محلاة بالذهب،وقال ان تاريخها يرجع الى العصر الرومانى ودله شكلها على انها غير مسطحة واستنتجوا انها كانت من قبيل ما يستعمل للزينة فقط ولا تصلح للمضغ وهذا لا يوصل الى النتيجة المزعومة .

ومن عجائب الاكتشافات تمثال قزم (رجل قصير جدا) من الحجر طول نصفه الاعلا اعتيادي وأعضاء النصف الآخر قصيرة جداً وعليه كتابة تبين انه صورة خنوم حتب من أمراء الأسرة الخامسة(أى سنة ٢٧٠٠ ق . م) ووجد هيكل آخر فى الدير البحرى على هذاالنحو وظهر انه تمثال ملكة بلاد بونت(جنوبى بلاد العرب)من مدة الأسرة الثامنة عشرة وكلاهما بالمتحف المصرى الآن .

واستدل قدماء المصريين بمباحثهم على ان الجرذان (الفأر) تنقل أمراض العدوى بالطاعون كما انها كانت تتسلط على النبات فتقرض جذور ساقه فى المزارع ويحدث عنها بعض الأحيان جدب فى المحاصيل يقترن بالمجاعة وفتك الطاعون فعولوا على مصادرة هذا العدو بكل الوسائل دفعا لمضاره عن الانسان والحاصلات الزراعية . وقد مثلوا المعبود فتاح قابضا بيده على هـذا الحيوان تخليداً لذكرى انتصاره على الأشوريين الذين حاربهم وقهر ملكهم سنشريب ،وان سبب هذا الانتصار التجأ ستون (Sethon) فرعون مصر بالمعبود فتاح فاستجاب المعبود دعاءه وسلط على جيش أعدائه أنواع الجرذان فأفنت عندهم المواد الجيوية وأكلت حبال الأقواس ومقابض الدرق فلم يستطيعوا المقاومة وانهزموا امام مدينة نينوى.



رسم القزم خنوم حتبو يدل على شكل صاحبه.



فتاح إله مدينة منفيس



ملكة بلاد پونت وقد اعتراها مرض غير ملامحها وشكلها تمام التغيير

داء البرص

فى كتب المؤرخين ان انتقال هذا الداء الى مصر كان من آسيا بواسطة العبرانيين والفينيقيين الذين كانوا يترددون طلبا للارتزاق. وقد ذكر هذا الداء فى ورقة برلين البردية، وروى بشأنه مانيتون المؤرخ المصرى القديم ان منفتاح الأول ابن رعمسيس الثانى أحد ملوك الاسرة التاسعة عشرة (أى منذ ١٢٠٠ سنة ق. م) نفى من أرض مصر نحو ثمانين ألف اسرائيلى مصابين بالبرص الى محاجر طرة كيلا تنتشر العدوى بين الناس اذا خالطوهم ثم أجاز لمن برئوا منهم بالتوطن فى مدينة تانيس شرق جنوب الدلتا التى كانت مهجورة بعد طرد الملوك الرعاة

فيتضح من ذلك ان هذا الداء الوبيل انتشر فى مصر بعهد الدولة الحديثة وكانت أكثر اصاباته بالعبرانيين الذين نقلوه بالعدوى اليها واستمر فى وادى النيل الى العهد المسيحى بدليل اكتشاف جثة مصابة به فى ذلك العهد .

داء السل الدرنى والسيلان

لاحظ الدكتور ثميث فى بعض الجثث المحنطة ان أصحابها كانوا مصابين بالتدرن الرئوى ولا ندرى كيف استنبط ذلك منها لان حالة الرئتين فى الجثث المحنطة لا تساعد على هذا الاكتشاف فلا يتخذ ذلك دليلا على انتشار هذا المرض انتشاراً عاما. وغاية ما يمكن قبوله من المباحث ان الرومان كانوا يرسلون المصابين بأنواع السل من بلادهم الى مصر طلبا للاستشفاء بجودة هوائها وجوها النقى ولا يبعد انتقاله منهم الى الغير بطول المكث والاختلاط



توت عنخ أمون وزوجته

من آثار قبره الجديد بالاقصر

رسم الملك توت عنخ أمون جالس على عرشه تراه نحيف الجسم وربما كان مصابا بداء السل ولذا مات حديث السن . وزوجته واقفة امامه واضعة يدها عليه وبيدها الاخرى اناء للشرب تقدمه لزوجها وفوقهما أتون على شكل قرص الشمس وهو معبود تل العمارنه واشعته تتلألأ على رأسهما . وهذا الرسم ماخوذ من ظهر عرش هذا الملك الذى اكتشف حديثا فى قبره بالاقصر وعرض بالمتحف المصرى بالطرقة الشرقية بالطبقة العليا

وقد قال المسيو (اليوثميث) ان الاوراق البردية الطبية تنبيء بوجود داء السيلان عند افراد قليلين، ولكن لم توصله مباحثه لتفصيلات عن وجود مرض الزهري الذى أصبح فى هذا العصر متشفيا عند كثير من الطبقات التى ابتليت بأمراض التقليد الاعمى فأصيبت من حيث لاتشعر بأمراض كبرى يعز دفعها عن الاجداد والاحفاد .

الطبيعة والطب عند قدماء المصريين

من النبات والحيوان ما يجلب للانسان عوارض خطرة وأمراضاً قتالة كما ان فساد الجوّ يبعث اليه جيوشا من الجراثيم والديدانات الحيوانية تنهتك مجموعه مهما اتخذ من الوسائل وتعمق في الرفاهية

ومن بينها دودة المعدة والحشرات التى تلقح الامراض الدموية والحمى المتولدة من المستنقعات بسبب تصاعد المكروبات وتنشأ عنها اصابات بأمراض الفيل وغيرها

ومن أشد هذه الديدانات الخطرة دودة المعدة الوارد ذكرها فى ورقة ابرس الطبية ولكن لم تذكر لها تفصيلات ويظهر انها كانت تعرف عندهم باسم (عاع) وتسمى اليوم بالانيمية (أى شدة فقر الدم) وسببه هذه الدودة المذكورة، وماهى فى الحقيقة الا الدودة الوحيدة المعروفة اليوم. وكانوا يعالجونها باستعمال لباب النبات المعروف باسم سليخ أو جذور شجر الرمان. ولا تزال هذه الطريقة مستعملة الى اليوم وكانوا يستعملون لها مع هذا العلاج الرقية بأدعية تتضن طلب الشفاء من هذه العاهة الضارة، ودونوا عنها فى كتبهم مباحث مستفيضة تدل على شدة العناية بهامثل بقية الأمراض الخطرة



رسم الملك توت عنخ أمون

رسم الملك توت عنخ امون والاصل بالمتحف المصرى فى قاعة T رقم ٤٥٧ نقل من الكرنك سنة ١٩١٤ وهو من الحجر الجرانيت وتدل نحافة جسمه وملامح وجهه على انه كان مصابا بداء السل .

كان هذا الملك اصغر ابناء امنحوتب الثالث . واختلف المؤرخون هل امه كانت زوجة شرعية لابيه او احدى سراريه . وكان من عاداتهم ان لا يتولى الملك الا من كانت أمه زوجة شرعية لابيه الا ان توت عنخ امون تولى الملك بواسطة زواجه بابنة الملك خون اتون .

ويستدل من النقوش التى وجدت بالكرنك انه حكم ست سنوات على الاقل . وفى مدة اقامته بتل العمارنة عاصمة المملكة المصرية تدين بدين اهلها وعبد الاله اتون حتى سمى نفسه توت عنخ اتون الى ان استتب له الملك واستقامت اموره فذهب الى طيبة ورجع الى دين آبائه من عبادة الاله أمون وغير اسمه فصار توت عنخ أمون ومعناه (صورة أمون الحية) واهتم بتجديد معابد أمون التى هدمها الملك خون اتون مع معابد باقى الآلهة المصرية



رسم الملك امنوفيس الرابع (خون اتون) و زوجته واولاده . والاصل محفوظ في القسم المصري بمتحف برلين تحت نمرة ١٤١٤٥ وليس له مثال آخر في الابداع واتقان الصنع وكان مصابا باستسقاء في الدماغ وكثيرا ما كان يستر هذا العيب بالخوذة وقد صور رؤوس زوجه و بناته على مثال رأسه حتى يخفي عيبه واعتبر ذلك من سمات الجمال

ظهر في جبل برقل تمثال جميل لأسد رابض وهو محفوظ اليوم بالمتحف البريطاني بلندن ومنقوش عليه « أقام الملك توت عنخ امون آثارا لابيه امنوفيس الثالث ففهم مشاهير علماء الآثار من هذه الجملة ان امنوفيس الثالث هو والد توت عنخ أمون حقيقة لان كلمة (أتف) الواردة في هذه العبارة ومعناها أب تؤيد ما فهموه . وعلى هذا يتضح ان توت عنخ امون وخون اتون اخوان ووالدهما معا هو أمنوفيس الثالث . ولكن نازع في ذلك بعض الأثريين وقال . . ان كلمة (اتف) وان كان معناها أبا فانه لا يقصد منها معنى الاب حقيقة بل بمعنى السلف

الذباب

من الحشرات المنتشرة في مصر من قديم العهد الى الآن حشرة الذباب وهى كثيرة الأنواع وكلها تساعد على نقل الرمد وغيره من الأمراض المضالة وعلى انتشار مرض العمى بسبب ما ينقله الذباب بأرجله الى وجوه الغير المتادين على النظافة والتوقى وقد كثرت العميان بينهم بما ألجأ الى عناية تامة فى التوقى منه . ولكثرة المصابين به تحركت فى قلوب الرحماء بذاك العهد البواعث على الاعتناء بتعليمهم الفنون التى يستطيعونها وكان من بينها الموسيقى كيلا يتعرضوا الى الفاقة ولآلام الضنك .

ومما استلفت أنظار الباحثين انه وجد فى رسوم بعض الاحتفالات الرسمية المنقوشة فى المعابد والهياكل ملك وزوجته فى صدر حفلة احتفال كبرى وبجانبهم الخدم يحملون بأيديهم مراوح ذات أيدى طويلة يستعملونها لتجديد الهواء فى الجلسة . وقال بعض المؤرخين ان هذه الحركة كانت لطرد الذباب عن الملك وزوجته اذ كان منتشرا فى مصر بشدة ، وانه كان من ضمن الضربات التى ذكرت فى التوراة مما قدر على مصر من الضربات الالهية فى العصور الأولى كأن تسليط الذباب عليهم كان بمثابة انتقام من فرعون لمخالفته الأوامر الالهية فى عدم تمكن اليهود من البقاء بديار مصر

البعوض

كان البعوض منتشراً فى مصر قديماً وأكثر انتشاره فى الجهات المجاورة للمستنقعات وموارد المياه والبحيرات ونحوها . وقد نقل هيردوت ان أهالى تلك البقاع كانوا يعتنون بجعل مبانيهم مرتفعة



أميرة لها عينان اصطناعيتان

رسم جثة محنطة للاميرة نزيتا نباشر (Nesitanebasher) (الاسرة ٢١)

ولها عينان اصطناعيتان واللفائف حول وجهها وأنفها

جدا لتكون فى طبقات من الهواء عالية نقية بعيدة عن تطاير هذه الحشرة اليها ليستطيعوا النوم ليلا

وكان لا يأوى الى هـذه الجهات الا الذين تلجئهم ضرورة الرزق للتوطن بها كالصيادين ونحوهم ممن اعتادوا النوم داخل الشباك فى أوقات راحتهم من أعمالهم .

القمل

هو من جملة الضربات التى انتقم الله بها من الملوك المصريين عقابا على مخالفتهم أمره وتشديدهم مع الاسرائيليين ليبارحوا أرض مصر . وقد وجدت فى الآثار القديمة أمشاط لتسريح الشعر يرجع تاريخها الى ما قبل هذه الحادثة يستعين بها النساء فى ازالته من شعورهن، وان الرجال كانوا تخلصا منه يحلقون ذقونهم ورؤوسهم عند انتشاره بها، ويستعيضون عن الشعور الأصلية بغيرها مستعارة ، ومنهم من كان يستعمل بدل ذلك قطعا ناعمة من القماش توضع على رؤوسهم وجبهاتهم وتتدلى أطرافها على صدورهم بشكل رداء أبو الهول ،وكان بعضهم يرى أن استعمال هذه القطع القماشية أليق صحيا لامكان غسلها كلما تلوثت بتراب أو نحوه

البرغوث والبق

لم تكن هذه الحشرات ذائعة الانتشار عنـدهم ، ويحتمل ان وجود البراغيث ونحوها كان يأتى عرضيا بواسطة المخالطة مع الطبقات الحقيرة كرعاة المواشى وغـيرها، وانتشـار القطط والـكلاب والقرود بينهم

وفى بعض الطبقات الأخرى ، وهـذه تحمل الحشرات الضئيلة وتنقلها للأماكن التى يكثر ترددها عليها كما تنقل مايعتريها من الأمراض اليهم.

الأمراض الناتجة من المستنقعات

منذ ستة آلاف سنة كانت البلاد المصرية تغمر المستنقعات أغلب أراضيها بحـالة تؤثر على الجو ، وتبعث فيـه جراثيم العفونة والأمراض وأنواع الحشرات

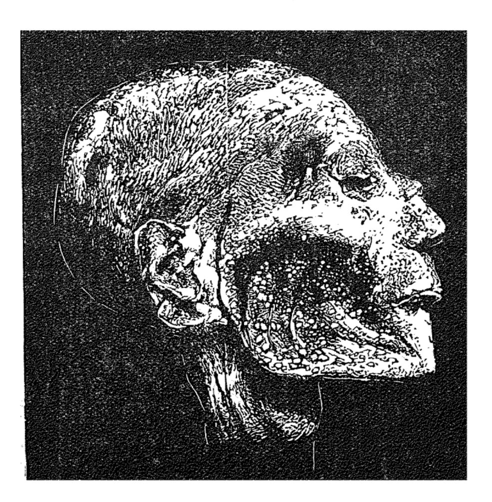
واستمر الحال على هذا المنوال الى عهد الملك مينا الذى اهتم بتدارك المضار الناشئة ، فبدأ بتشييد مدينة منفيس ،وأقام جسراً عظيما تكبد فى انشائه صعوبات جسيمة ،وتوصل به الى تجفيف كثـير من الأراضى وتناقصت الأمراض التى كانت منتشرة فى أغلب فصول السنة

وقد أجمع المؤرخون على أن الأوبئة الفتاكة كانت عادتها تزداد انتشاراً بالبلاد فى مبادىء الفيضان وفى أوائل تدفق الأمطار ، فتحدث المستنقعات وتنتشر عنها المكروبات وتحدث أمراضا شتى من ضمنها الداء الوبيل الذى كانوا يسمونه (اا ت)

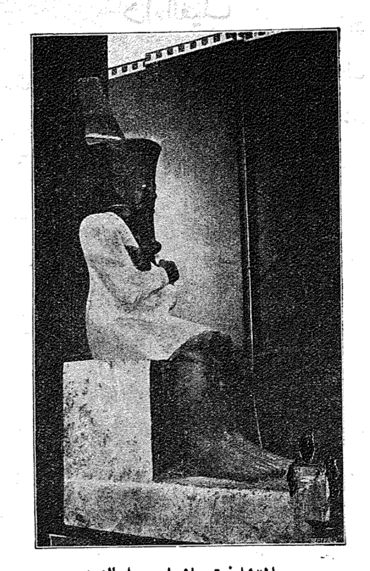
ووجد بين النصائح الطبية المنقوشة على جدران معبد دندره تحذير الأهالى من التجول خارج المنازل بعـد غروب الشمس فى الأسابيع الأولى من زمن الفيضان لـكونهم عدّوا هذا الداء من أنواع الحمّيات والجراثيم الجوّية تتشبع بمكروباته ،فتسرى الى الأصحاء بانتشاق النسيم قهرا عن أرادتهم

البلهرسية

هذا المرض شديد الخطر على الأصحاء وقد حسبوه من الضربات التى تسلطت على مصر كنقمة إلهية ، ومنشؤه مكروبات تتسلط على الفقرات الظهرية ، وقد وجد (السر ارمند روفر) فى الجثث المحنطة فى الأسرة التاسعةعشرة (أى منذ ١٢٠٠ سنة ق . م) رئتين ملوثتين بهذا المكروب وهذا لا يدل على أنه كان منتشراً فى عهدهم بالدرجة المنتشرة عليها الآن بسبب كثرة الحيوان الـكركى (Ibis) الذى يتغذى بالحيوانات الرخوة المولدة لهذا المرض فيفنيها



رسم رأس جثة الملك رعمسيس الخامس وكان مصابا بداء الجدرى ولاتزال آثاره باقية الى الآن على وجهه و باقى جسمه . والجثة معروضة بالمتحف المصرى بالطبقة العليا



الملك امنحتب المصاب بداء الفيل

رسم تمثال لأحد الملوك المعروفين باسم امنحتب . وكان مصابا بداء الفيل (أى شدة الورم فى قدميه) والأصل بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى بالطرقة الغربية تحت رقم ٢٨٧ . تراه مرتديا الحلة التى يلبسها الفراعنة يوم عيد جلوسهم أى لابسة قميصا أبيض والتاج الأحمر للوجه البحرى (الاسرة ١١)

داء الفيل

كان داء الفيل معروفا بالوجه القبلى أكثر منه بالوجه البحرى. وقد وجد فى معبد بالقرب من الدير البحرى تمثال قالوا انه للملك امنحتب (الموجود الآن بالمتحف المصرى بالطرقة الغربية) غليظ الساقين عن نسبة جسم الفخذين فاستدلوا بذلك على ان صاحب هذا التمثال كان مصابا بداء الفيل .

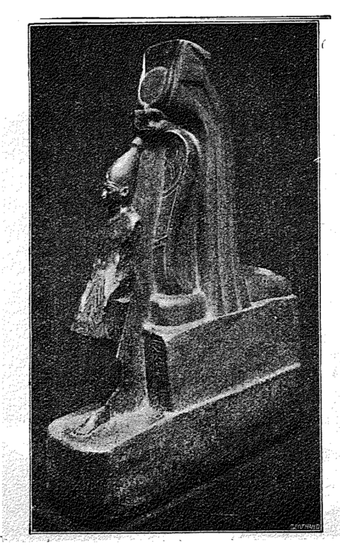
الأفاعى والحشرات المؤذية

منها العقرب ( ) وكانت معروفة فى الأزمنة الأولى، اذ كثيراً ما يوجد اسمها فى صيغ الأدعية التى كانوا يتلونها اتقاء من شرورها وسمومها، ووجدت رسومها كثيرة على الآثار وكانوا يتخذونها كرمز للمعبودة سِفِكْ التى تلازم المعبودة نيت فى رأس احتفالات الزواج ،ووضعوا تحت حمايتها الأوانى (المعبر عنها عند علماء الآثار بكلمة كانوب) وهى تحتوى على احشاء الجثث المحنطة، ويرسمون على الأوانى المذكورة هذه المعبودة وعلى رأسها عقرب سوداء أو يرسمونها على شكل العقرب ورأسها رأس لبوة .

الحيات السامة

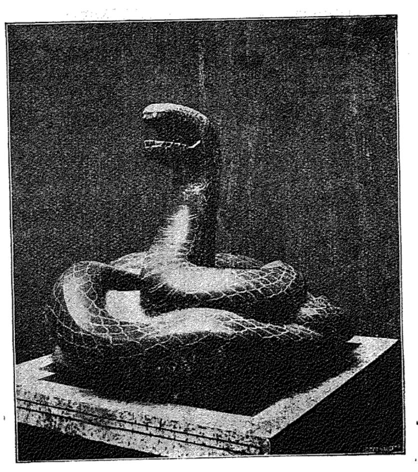
أنواع الحيات السامة معروفة عند المصريين وأكثرها نوعان الأول الثعبان ( ) واسمه بالفرنسية (Cobra) والثانى الأفعى ذات القرون ( ) وقد يبلغ طولها متران ولونها أصفر فاقع ويتحول الى السواد بطول الزمن،

وهى من الحيوانات القتالة ،وسماها قدماء المصريين إلهة الحقول المنزرعة وجعلوها تحت حمايتها لأنها تهلك الفئران التى كانت يكثر منها ضرر المحاصيل . وفى بعض الأحايين كانوا يقدمون لهـا فروض العبادة اعترافا لها بالفضل فى إبادة هذه الحشرات . وكان البعض منهم يظنها أنها لا تنهش الا المجرمين كعقاب لهم على آثامهم ، وربما كان هذا سبباً لتعلق



رسم الملك امنوفيس الثانى والمعبودة ماريتسا كرو (Maritsakro) وهى على شكل الحية الشهيرة بحماية الانسان من الجن (الأسرة١٨) والأصل بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى بالقاعة I رقم٤٧٠

الـكهنة بها فى المعابد لتعويدها على معاشرتهم ويوهمون الشعب أنها لا تمسهم بأذى وينسبون ذلك الى ما ينتحلون لأنفسهم من ألقاب الطهر والزهد . ولهذا كانوا يحتالون فى تخليع أسنانها (كما يفعله بعض الحواة الآن باستعمال الضغط على عنقها بطريقة تفقدها الحركة) وبعد اتمام خلع الاسنان يأمنون من تأثير لعابها فى أيديهم ، لأن الاسنان فى تكوين فطرتها أشبه بأنبوبة لافراغ السموم من لعابها على الاجسام، وهذا يذكرنا بما جاء فى التوراة عن موسى والسحرة الذين استبدلوا عصيهم بحيات



غطاء علبة للصدقة منقول من معبد اسكولاب فى مدينة بطولمايس (بالوجه القبلى) وبه اثقب كان الشعب المصرى التقى يلقون فيها الدراهم للصدقة . والأصل بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى بالقاعة T رقم ٩٦٤

وكانت الحية عندهم رمزاً للقوة فى التماثيل التى ينقشونها على رؤوس الآلهـة والملوك . وكثيراً ما رسموها على كل جانب من جوانب قرص الشمس ذات أجنحة لتحمى المعابد والمنازل الخاصـة من أذى الارواح الشريرة .

والأ فعى ذات القرنين طولها نصف متر وتكون شهباء اللون بنقط سمراء على ظهرها تختبىء فى رمال الصحراء وتؤذى من يمسها حافى القدمين وكثيرا ما رسموها على الآثار بالهير وغليفى تمثل حرف الفاء . (~)

وقال هـيردوت انه يوجد كثير من نوعها فى جهة طيبة. وروى ان الحية التى لدغت كليوبطرة هى من ذاك النوع ،وقال آخرون انها من نوع الثعبان المعروف باسم (كوبرا) (◌)

وتتضمن ورقة ابرس الطبية فصلا خاصا بمعالجة لدغ الحشرات ونهش الحيات .وكانوا يستعملون أناشيد سحرية توقيا من وصولها اليهم بالأذى .

ونذكر من بين التمائم والتعاويذ الخاصة باجتنابها الشاهد السحرى الذى يرجع عهده الى الدولة الحـديثة وهى قطعة من الجرانيت أو البسلت رسم فى أحد وجهيها المعبود حورس يطأ بقدميه التماسيح و يقبض بيديه على الأ فاعى والحيات المؤذية ، وعلى الوجـه الثانى الصيغ السحرية التى كانت متداولة فى عهدهم للاتقاء منها

وقد وضعوا الشواهد السحرية على أبواب المنازل التى يأوى اليها فقراء الناس لأنهـا تأوى الى الطبقات الارضية التى هى سكنى أمثالهم فى الغالب . والوصايا التى جاءت فى الأديان وفى النصائح الطبية بنظافة الأفنية ومجامع الطرق ومنعطفاتهـا من الأوساخ كلها تشير الى أقرب

الوسائل فى التوقى من الحشرات والهوام التى تجتذ بها الأوساخ والقمامات، فالاعتناء بالنظافة مطلوب ذوقا ودينا وصحياً .

فن معالجة الأمراض عند قدماء المصريين

علم القارىء مما قدمناه أن ورقة برلين الطبية جمعت نحو مائة وسبعين تذكرة طبية ، وان جميع الأوراق الطبية المكتشفة شرحت مايقرب من ٥٠٠ دواء ، وقد جمعها المسيو لورية (Loret) فى جدول على حدته نذكر هنا منها المواد المعدنية المتركبة منها الادواء مثل ملح الرصاص وخفلات النحاس الذى يستعمل مسهلا ، وأوكسيد الحديد وحجر النسر الذى يستعمل فى علاج الاستسقاء ، وأوكسيد الأنتيموان وسلفات المعدنى ونترات البوطاسة والمانيزية والجير والسودة والنفط .

والعقاقير المستحضرة من النبات كانت كثيرة عندهم ويستعملون منها رماد خشب الأبنوس كحلا ، وجذع شجر الرمان سفوفا للدودة الوحيدة، ونشارة خشب الأرز التى تستعمل لتسهيل الطبيعة ، واستعمال العرعر لادرار البول ،وكان الأفيون يستعمل فى اعداد الأشربة المهدئة والمسكنة للآلام، وكان زيت البابونج مما يستعمل عندهم للدلك ،وبصل العنصل أيضا ضد الاستسقاء،والخردل ضد الجنون،وطبيخ الكزبرى فى علاج الخناق والثوم ضد التعفن،واشترطوا لتعاطى الثوم الحاجة اليه لأن من يتناوله وهو سليم البنية يعد مرتكباً جريمة يؤاخذ عليها لأن له رائحة كريهة

ومما وجد فى ورقة ابرس الطبية ان المصريين استعملوا كثيراً الخروع

وتوصف حبوبه لمن يكون عنده عسر هضم ويشرب بعدها قليلا من الجعة ، واذا سحقت بعض هذه الحبوب ومزجت بالزيت صار عجينة تدهن بها الرؤوس لتنمية الشعر ، واذا مزجت بالعسل خففت آلام الرأس، أما زيت الخروع فاستعملوه للاضاءة وتضميد الجروح ذات الصديد والقيح

ومن النباتات التى تستخرج منها العقاقير ذات الخواص النعناع والكزبرى والشيح والنبق وكف الذئب والخردل وعود الند(البخور) وسراح القطرب والزعفران والورنجان والشمار والكرفس والفجل ولب الكرنز وحب الكتان والقرع والمصطكى وصمغ الصنوبر وبعض محاصيل أخرى أساسها التربنتين وبعض المنقوعات المرة كمغلى الشعير والجعة والزيت والنبيذ والخل .

وكانوا يجمعون هذه النباتات من الحدائق الموجودة حول المعابد والهيا كل المجمولة تحت حراسة الكهنة ،وقد عثروا حول بعضها على نباتات طبية .وكان الكهنة حسب الحاجة يستجلبون من جهات بعيدة النباتات والعقاقير الأخرى غير الموجودة عندهم . وقد وجد نقش على الباب الشرقى من معبد الدير البحرى بالاقصر يثبت ان الملكة حتشبسوت (أى منذ ٣٣٠٠ سنة) استحضرت من بلاد العرب نباتات عطرية وزرعتها وأنفقت على ذلك نفقات كلية وكونت منها أول حديقة صنعت فى العالم القديم،وهذا من الأدلة على قدم المدنية فى مصر بمقتضى الغرائز الفطرية السامية

السوائل الحيوانية ـ من أهمها عسل النحل وهو أكثر استعمالا فى تناول الانسان ولبن النساء وألبان البقر والمعيز وزيت كلب

المـاء ومرارة الثور وكبده ودهن بعض الحيوانات ودمها وبول الانسان ورجيع الـكلب والأسد والتمساح والجعران والسلحفاة والجرذان

وفى الهيا كل كثير من اسماء العقاقير التى كانت مستعملة فى العلاجات يمنعنا تجنب الاطالة عن الاطناب فى بيانها، وانما ننوّه عنها فى هذا الاجمال بيانا لفضل ما كان يقوم به الـكهنة فى تجهيز واستحضار وتركيب الادوية. وكانوا يستعينون على أعمالهم هذه بالمعامل المشيدة على مقربة من الهيا كل ومستشفياتها ،وكانوا يصنعون فيها أنواع العطر والطيب المخصص للمعابد فى المواسم وغيرها بنفقات طائلة .

وكان الصيادلة يجهزون العقاقير ويكتبون لاستعمالها التذاكر الطبية على الأوراق البردية، وينقشون عن أهمهـا بيانا على تلك الهيا كل فى الأمكنة المخصصة للأطباء على الأعمدة ونحوها وترى فى كل رسم نشاط القائمين به فى أعمالهم، اذ كانوا يسحقون الأدوية ويعتنون بغليانها وتصفيتها من أقمشة نقية حتى كانما الماء المغلى كان عندهم بمثابة الشراب الوحيد، ولـكن الـكهنة استعملوا على سبيل الرفاهية النبيذ وشراب الشعير واللبن والزيت ومزج ما يستطيعونه من هذه الأنواع لتناولها شرابا دافئا صباحا ومساء. وكانوا يعتنون بالأدوية والمسهلات المركبـة من ماء النباتات وخلطها بالمائعات المستخرجة من الحبوب ونحوها، ويصنعون أيضا أقراصا طبية ومراهم تستعمل خارج الجسم فى الدهان والـكحول ونحوهما

وكانت المواصفات الطبيـة تكتب بتوضيح أنواع الأدوية وعدم تحديد المقادير لأنواعها عند طلب التركيب اكتفاء بان ذكر المرض كاف لارشاد الصيدلى باعتباره متضلعا فى فنه عن بيان الـكميات له فى كل نوع

كما كانوا يستعملون رموزا اصطلاحية فى اسماء الأدوية اكتفاء بتداول هذا الاصطلاح بين الأطباء والصيادلة والقائمين بشؤون المعالجات عموماً

وأهم ما كانوا يبدأون به فى المعالجة إعطاء المريض المسهل والحقنة المناسبة ، وكانوا يعتقدون ان لكل غذاء شيئا زائداً ، ومتى تجمعت هذه الزوائد فى الأمعاء سببت أمراضا كثيرة . وكثيرا ما كانوا يلتجئون الى القىء بعض الأحيان لأبادة الجراثيم المؤذية سواء من متخلفات الأدوية أو الأغذية

وكانوا يستعملون المسهلات ثلاثة أيام فى كل شهر .وكانت قوانينهم تحرم أخذ المقيئات وقت شدة المرض ، ويمنعون تكرار التعاطى من المسهلات إلا اذا مضى على الأول منها أربعة أيام ، واعتقدوا أن الحقن من مصدر إلهى واستشهدوا على ذلك بانه فى ذات يوم ظهر المعبود تحوت على شواطىء النيل بشكل الطائر الكركى ورآه الكهنة يأخذ الماء بفمه ويدخله فى دبره فاستنتجوا من ذلك علماً ثميناً ، واستدلوا به على وجوب تطهير هذا الجزء من بقايا التبرز وعلى فائدة استعمال السوائل كحقن طبيّة حسب العوارض فى كل جسم

وكانوا يستعملون الحجامة فى بعض العوارض لأمراض الصداع ، كما كانوا يستعملون الكىّ للأمراض الرئوية والمفاصل كما تقدم .وكانوا يضعون على المحموم قطعاً من الصوف لتجتذب العرق الى سطح الجسم فاذا لم يعرق تأكدوا من دنو أجله

علاقة السحر بالطب عند قدماء المصريين

الأمراض تحدث فى الأجسام آلاماً تتفاوت درجة التأثير فيها بقدر استعداد الجسم للضعف . وللعلماء آراء كثيرة فى تأثير النفس من الأمراض الجسدية،وذهبوا فى تأثر الحواس بذلك مذاهب شتى ليس هـذا موضع الاطناب فيها ولكن اختلاف الباحثين لم يمنع تأثر النفس بالمعتقدات المألوفة،فجعلوا لهذه المعتقدات قوة تؤثر على الآذان والحواس يرجع المعنى فيها الى تأثير الانفعال النفسانى العـام الذى أفرد له بعض المؤلفين كتبا خاصة ومباحث عميقة .

ومن قبيل هذا الانفعال عوارض وقتية . ومنها تسلط بعض أقوياء الارادة على بعض الطبقات بمؤثرات قولية عملية،ويستخدمون فيها ضعف الأفراد للاستمرار فى سريان التأثير،وبهذه الطريقة أمكن الاعتقاد بمـا يسمى السحر الفعال عند قدماء المصريين، وقد كانت لهم فيه لعهد بعض الأسر الفرعونية قوة رهيبة حتى عند طبقات الملوك وعظماء الدول وكانوا يستعينون بالسحر فى مسائل هامة

وبانقراض تلك العصور بقيت فى النفوس عقيدة التأثر بالسحر والتأثير على الخواطر بأجرا آت اعتادها المنقطعون لهذه الأعمال، ومنهم من توسل الى الحصول على الشفاء بالمعتقدات السحرية فى أمراض عصبية وغيرها حتى كان كثير من الناس يرجعون فى مبادىء معالجتهم الى السحر والرُقى واستعمال التعاويذ والتمائم ، وتوسعوا فى ذلك الى القول بأنها كما تؤثر فى الشفاء من الأمراض تفيد فى وقاية الاطفال ونحوهم من مساس

الجن وأمراض الصداع ونحوها . ولا زالت آثار العرب والأمم السابقة مستفيضة فى كتبهم بالأنباء الكبرى عن هذه المسائل والايمان بها كعقيدة راسخة

وكان قدماء المصريين يعتقدون ان كل داء من أعمال الأرواح الخبيثة تسلط بقوتها الشريرة على الأجسام، فتحدث بها الأمراض، وهذه القوة الشريرة عند مقابلتها بالتأثير الأقوى تتلاشى ويشفى المريض . فكان للعلاج عندهم طريقان الأول بالتأثيرات الروحية التى يعتقدونها محصورة فى بعض الكهنة والسحرة، والطريق الثانى استعمال العقاقير الطبية المعتادة لطلب الشفاء ، لان المعبود تحوت رئيس السحرة كان أوصى الى قومه بتأثير سرها وانها من الخواص الملموسة باليد، ففائدتها تكون أكثر وأنفع من تلك القوى الروحية المعنوية التى قد لا تؤثر فى أحيان كثيرة

ومما ذكر فى الأوراق البردية الطبية أنهم كانوا يشفعون تلك العقاقير بالصيغ السحرية الجازمين بفائدتها فى معالجة الأمراض، وكانت هذه الصيغ السحرية ذات معان رمزية متعددة ، وكان أغلب الكهنة على علم بتأثير الروحيات على الماديات ويرجع الأمر فى ذلك الى قوة العقيدة الدينية وانقياد الناس اليها .

ولا زلنا الى الآن نجد البعض من المتمسكين بهذه العقائد القديمة عند ما يصفون الى زائرهم من المرضى بعض العلاجات المفيدة يتبعونها بكلمات من هذا القبيل. فبانطباع الوهم فى مخيلة المريض تقوى عقيدته بان النفع يأتى من قبيلها أكثر مما يأتى من الدواء ، وكأن الناس فى الوقت الحاضر ورثوا عن أولئك الأوائل طرق التأثير على عقليات المرضى بأمثال

هـذه الشعوذة التى يزداد رواجها بقدر ما يصادفه الناس من الشفاء ؛ والشعب المصرى بفطرته وسلاسة سجاياه أقرب الى حسن العقيدة والتصديق ولهذا أشير فى ورقة إبرس الطبية الى أن الرقية والدواء كل منهما يفيد فى مصلحة الآخر .

والعنصر المصرى القديم بما منحه الله من سعة المواهب العقلية وقوة الفطنة والذكاء ، وبما أحرزه من السبق على باقى الأمم فى العلوم والفنون المتنوعة كالطب وغيره ، كأنه لم يقتنع لنفسه بهذه الميزات الفطرية فطمحت أنظاره الى ما فوق ذلك ، وعمد الى الاشتغال بالعلوم السحرية لتقوى بها سيطرته على النفوس لان الساحر يتغلب بخرقه للعادات فى عرف الناس على قلب الحقائق الى درجة المعجزة ، ويجوز بها منتهى الاكرام والمكانة عند الشعوب حتى كانوا لا يتحاشون مظاهرهم هذه أمام الأنبياء والرسل والأولياء ويجرأ الجهلة لأسبقيتهم فى مخالطة أولئك السحرة على تفضيلهم عن أولئك الاخيار الذين كرمهم الله بين الامم ، وجعلهم أمناء من لدنه على تبليغ الوحى والتشريع وخدمة النوع الانسانى بالارشاد للحقائق الالهية والشرائع القويمة وناهيك بما كان من فرعون وسحرته امام موسى وهارون عليهما السلام

وكانوا يعتقدون أن لكل من الموجودات الكونية روحاً تلائم عنصره وفصيلته ، وتلك الروح تجعل له من الحياة ما يلائم طبيعته التكوينية ، ولهذا زعموا تسلط الطبيعة على الانسان ، وان الساحر كان يتسلط بقوته النفسية على مجموع هذه المؤثرات فيكون له على باقى النفوس قوة الاخضاع والتسخير فيما يشاء .

ومن معتقداتهم القديمة ان لكل آدمى قريناً من الجن يلازمه فى

الحياة ويتبعه فى الموت، وكان يسمى فى اللغة المصرية القديمة (كا) ورسموه على شكل ذراعين مرفوعين ويسمى عند الأفرنج بالخيال الملازم . فالدنيا فى اعتقادهم مملوءة بقوة الأرواح المؤثرة، فيجب على الانسان إتقاء ما يخشاه فيها من الشرور ان استطاع ذلك بنفسه أو بمعونة الغير فى مقاومته ومطاردة ما يحذره أو يحل به

قال الاستاذ ماسبرو ان علم السحر يرجع تاريخه عند قدماء المصريين الى أقدم العصور ، وكانت للسحرة مدارس خاصة يدعونها بيوت العلم والحياة ، ويصفونها بانها تحت حماية الأله تحوت المعبود القمرى لمدينة هرموبوليس (أى الاشمونين التابعة لمديرية أسيوط) وهم يعتقدون ان الأله المذكور أول من وضع للسحر كتبه العلمية وطلاسمه الباهرة، وكان الفراعنة يعدون من مفاخرهم جعل هذه المدارس تحت رعايتهم ويشملونها بعنايتهم الكبرى ، وبلغ من اعظام فرعون للسحر والسحرة انه كان يلقب نفسه رئيسهم، فلا يعتبر التلميذ أتم الدراسة فى تلك الجامعات وأحرز شهادة بالنبوغ والتفوق ، ولا يحوز لقب (شرحب) الذى يمنح لمن أتم الاطلاع على الكتب الألهية الا اذا اختُبِرَ امام فرعون وأقرّ له بالكفاءة على شرط أن يكون من أبناء الملوك والأمراء.

وكانوا يجعلون الكتب السحرية فى صفوف العلوم المقدسة وتدرج مع العلوم الأولية كالطب والبيان والحكمة ، وتحفظ فى دور الكتب الملكية المشيدة بالمعابد والهياكل . ويوجد الان فى متحف لندن بين محفوظاته الفاخرة ورقة بردية (اكتشفها كاهن) فى القاعة الكبرى بمعبد كبتوس مسطور فيها ان الأرض كانت مظلمة ، ولما ظهر القمر

أضاءت أشعته على سطحها فأتى ذلك الكاهن بهذه الورقة الى خوفو (أحد ملوك الأسرة الرابعة)

وكانت السحرة على قسمين أحدهما قانونى وهو الذى تعترف له الحكومة بمهنته و تأذن له بمباشرتها فيعولون على رأيه فى الطوارئ، وأولئك حازوا أكبر منزلة أمام الرعية والفراعنة بماجعل كثيرين من أبناء الملوك والأمراء ينتظمون فى سلكهم كأمنحتب بن حابى وزير الملك امنوفيس الثالث الذى نبغ فيه وأقاموا له تمثالا وهو اليوم من محفوظات المتحف المصرى تحت رقم ٣، ومن النابغين فى السحر الملك سيزوستريس الذى فاق فى عصره جميع السحرة

كان امنحتب بن حابى وزيرا للملك امنوفيس الثالث ورئيسا للمهندسين المعماريين واشتهر بعلم السحر فوضعوه فى صف الآلهة الثناوية وقدموا له فروض العبادة فى معبد الأله فتاح وله تمثال بالمتحف المصرى تحت رقم ٣ من الحجر الجرانيت الوردى طوله ٤ أمتار و١٧ سنتى وله تمثالان آخران تحت رقمى ٤٥٩ و ٤٦١ من الحجر الجرانيت الاسود فالتمثال المرقوم برقم ٤٦١ يمثله فى عنفوان عمره وهذا التمثال المرقوم برقم ٤٥٩ يمثله شيخا يناهز الثمانين

وبلغ من اكرام الفراعنة فى تقريب اولئك السحرة لديهم واستخدام علومهم فى أغراضهم انهم كانوا يلقبونهم كتبة بيت الملك وأمناء الحياة، ويستوضحون منهم خواطرهم النفسية حتى في تفسير الأحلام ،ويعتقدون ان بهم النصر على الأعداء ويعدونهم على سبيل النذر عند الفوز المنتظر بالشيء الكثير كما حصل من فرعون وقومه فى قصة موسى عليه السلام

وكان لا يؤذن للسحرة بادخال تلميذ فى مدارسهم إلا بعد تمرين طويل على قواعدهم لتطهير النفس ومقاومة الشهوات والامتناع فى الأطعمة عن ملاذها وعن كل ذى روح أيضا حتى تصفو مداركهم بهذه الرياضة الغذائية،كما يحتاطون فى قهر النفس عن شهواتها بالانزواء عن العالم فى خلوات يعدُّونها لذلك . وبعد التوثق من الوصول فى التهذيب والخضوع النفسانى، وقطع كل هذه العقبات لا يسمح له بنشر علومهم وإظهار آياتها إلا بعد تمرين طويل بين أيدى أساتذته حتى يمنح من لدنهم الاقرار له مع استحقاقه للحرية فى العمل

وقد بلغ السحرة من براعتهم الاتيان بعجائب كانوا يسمونها لأنفسهم بالمعجزات ، ويبهرون الأبصار فى إتيانهم بها أمام الجماهير بدون معاناة ولاتعب . وقد يستخفون استعظاما لأنفسهم بما يعده الناس من أعاظم الأعمال ، ويقولون نحن نعرض عليكم فى مقدمة أعمالنا ما أعجز ادراككم ، وهو فى فنوننا الراسخة كألعاب صبيانية تفرح بها الناظرون

وروى عنهم أنهم فلقوا البحار وقطعوا رأس رجل عن جثته ثم أعادوها إليه مستمرا فى حياته بدون أن يشعر بأذى . وكثيرا ما تحركت بنفثاتهم التماثيل والأشباح المصنوعة من الخشب ونحوه تحركا مختلفا .

وكانوا أيضا وهم جلوس يختفون عن الأبصار فيندهش جلساؤهم ، واذا دخل أحد إلى المجلس لايعتقد وجودهم فيه ، ويقرأون الرسائل الموضوعة فى الأحراز ويخبرون بما فيها ، وينبئون الناس عن ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم ، وبلغ من براعتهم أن أحدهم صنع من الشمع تمثال تمساح صغير وقرأ عليه عزيمة سحرية ؛ فتحرك التمثال وسلطه على رجل كان مشهورا بالفحشاء ومستحقا للعقاب من أجلها فابتلعه وألقاه فى البحر طبقا لأمر الساحر ؛ فكأنهم استطاعوا بمدهشاتهم العامية التأثير على مقتفيات الطبيعة الصماء فتنقاد بالتحرك ونحوه لكل مايشاؤن



رسم المعبود تحوت

رسم تمثال لكاتب متربع تراه يكتب فى قرطاس فوق ركبتيه وهو يمثل رعمسيس نختون أول كهنة المعبود أمون وفوق رأسه قرد يمثل تحوت إله العلوم والمعارف كأنه لاينطق عن الهوى بل وحى يوحيه اليه هذا الاله والأصل بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى قاعة O رقم ٧٦٨

وقد جاء فى كتاب تحوت (هرمس) نص عزائم كانوا يتلونها لنجاح مآربهم. وذكر فى خواص احدى ثلاث الصيغ السحرية القول عن أحداها

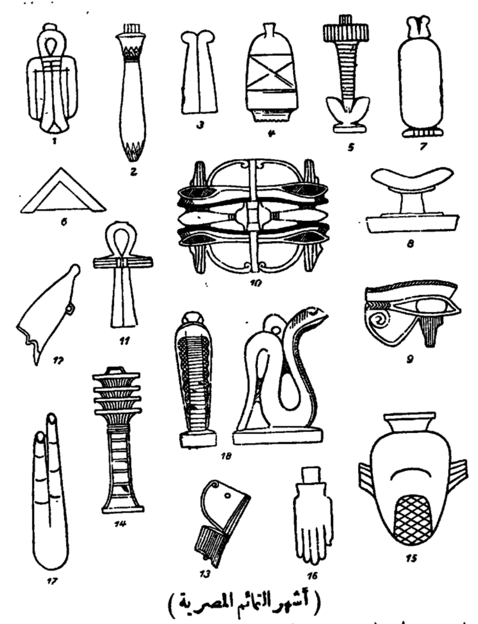
بأن الانسان الذى يقرؤها تخضع له الأرض والسموات والجبال والمياه والعالم الأسفل ؛ ويفهم لغة العصافير وكل مادرج على الأرض ؛ ويرى الأسماك فى أعماق البحار ؛ ويستطيع استخراجها الى السواحل والشواطىء

أما السحرة الغير القانونيين فهم الذين لم تتوفر فيهم أغلبية الشروط المتقدم ذكرها ؛ ولا تعترف بهم الحكومة وتعاقبهم اذا باشروا أعمالهم بدون تصريح وربما جعلت من العقوبة أحكام الاعدام

وفى دار الكتب الأهلية بباريز ورقة بردية اسمها (لى) (Lee) نُصّ بها على أن ساحرا أراد الانتقام من قوم ؛ فصنع تماثيل من الشمع وقرأ عليها عزائم سحرية ؛ وخصّص كل تمثال منها بنوع من الأذى والضرر فأصيبت الأشخاص بالأنواع التى خصّصها لكل فرد منهم ؛ ولهذا رفعوا أمرهم إلى الملك فنفذ فيه عقاب الاعدام محافظة على النظام العام ؛ وصدرت الأوامر بمنع جميع السحرة عن مثل هذه الأعمال

وكان الناس يعتقدون استطاعة الساحر على دفع الخطر عن نفسه وعمن يلوذ به وعمن يشاء حفظه من الضرر ولو بعيداً عنه ؛ ويتنبأ بالمستقبل وتأتى الحوادث فى كثير من الظروف مصدقة لحسن تفاؤله . ولا تزال خزائن المتحف المصرى وهى بين أيدينا اليوم مفعمة بأنواع التمائم والتعاويذ والأشكال الأخرى التى من قبيلها . وكان الأقدمون يصنعونها من الطين الصرف أو الممزوج بمسحوق الزجاج والحجارة ويطلونها بالألوان ويضعونها فى القبور كأنهم كانوا يعتقدون نفعها حتى فى عالم البرزخ

وهذه التمائم ونحوها عبارة عن إشارات رمزية اصطلاحية عندهم تستعمل بأوضاع معينة لكل مقصد مثل (☥) عنخ فانها رمز للحياة و( )



(أشهر التمائم المصرية)

(١) ابزيم حزام (ويدعى دم ازيس)
(٢) صولجان على شكل الورق البردى
(٣) تاج من ريش النعام
(٤) خصلة (Troddel بالألمانية)
(٥) علامة الأتحاد
(٦) زاوية مثلثة
(٧) خرطوش (حلقة مستطيلة يكتب فيها قدماء المصريين أسماء الملوك والملكات)
(٨) مسند للرأس ٩–١٠ عينان (١١) علامة الحياة (١٢) تاج للوجه القبلى
(١٣) تاج للوجه البحرى (١٤) علامة للبقاء والخلود (ولفظها بالمصرية القديمة دد)
(١٥) قلب (١٦) يد (١٧) أصبعان (١٨) الحية المقدسة

(اوزا)رمز للصحةو(أ)(ازار) رمز للشباب و(؟)(دد) رمز للخلود وكانت لها قوة تأثيرحسب قوة شكلها الخاص بها مثلا كانت علامة الحياة وهى صورة رجـل واقف على قدميه باسط ذراعيه رمز الحياة ، ولفظ ازار المذكور وهو رسم صولجان رمز القوة ،ورسم أربعة أعمدة متحاذية رمز الخلود الخ

والمادة التى تتألف منها هذه التمائم تأثير كبير عليها . فالذهب معدن يرمز به للبقاء وهو سلطان المعادن وأصله من شعاع الشمس متجمد وهو المادة التى تصنع منها تماثيل الأشياء المراد دوامها كتماثيل الملوك والآلهة والعقود والأساور والأسلحة .

وكان للألوان تأثير مع هـذه التمائم مثلا عمود صغير أخضر اللون يضمن الشباب لحامله إذا كان مصنوعا من الطين المطـلى بالمينا الخضراء وكان اللون الذهبي يهب لحامله طول الحياة ، واللون الأخضر ينبعث منه البهاء ،واللون الأبيض يكفل الخلاص

ويقوى تأثير التمائم إذا استمرت بعدها الصيغ السحرية يتـلوها صانعها أو يلقن حاملها كيفية تلاوتها

والعزائم السحرية يرجع تاريخها الى الأسر الأولى،واليك منها المثال الآتى : اذا أصيب أحد بلدغة أفعى كانوا يرقونه منها بما معناه « أخرج أيها السم واهبط الى الأرض وان لم تمتثل فالمعبود حورس يأمرك ويسخط عليك ولا تقم ثانياً أيها الضعيف الحائر فلتسقط رأسك الى الأسفل أنا حورس السحار الـكبير الذى يكلمك »

وكان الساحر كما تقـدم يمزج قوة التمائم بالصيغ السحرية لتخضع

الحيوانات المؤذية كالحيات والأسود والعقارب والتماسيح . ولهذه التمائم نقوش ورسوم وأشهر هذه التمائم عندهم الشواهد الحجرية الصغيرة والعصى السحرية وتماثيل الجمالين والأيدى والأعين . وفى المتحف المصرى كثير منها ؛ ولا سيما فى الدور الثانى من قاعة المعبودات المصرية ؛ فتجد هنالك قطعة صغيرة من الحجر البسلت منقوشاً على وجهها الأولى رسم بارز للمعبود حورس إشارة للصلاح ؛ وهو على شكل طفل عارى الجسم ؛ وعلى كتفه الأيمن ضفيرة من شعر رأسه مرسلة، وتحت قدميه تماسيح (اولاد ست تيفون إله الشر) باسطاً ذراعيه قابضاً بكفيه على أذيال الحيات والعقارب والأسود والغزلان وفوق رأسه هرة وهى إلهة الفرح جالبة الخير.



(المعبود حورس بن ازوريس)

وليست هذه الشواهد مقتصرة على التحفظ من لدغات ماذكر؛ بل كانت أيضا تمنع هذه الأنواع من دخول البيوت ما دامت فيها ؛ ومنقوش على الوجهة الثانية رسوم إلهة الخير وبعض الصيغ السحرية ، ويرجع تاريخ هذه الشواهد الى الدولة الحديثة .

وكانوا قبل هذا التاريخ يستعملون العصىّ السحرية التى

كانت على شكل الحيات وفى نهايتها رؤوس بعض الحيوانات الحقيقية أو الخرافية وبعض الآلهة الذين لهم رؤوس بشرية أو حيوانية .

أما الجعل فاسمه باللغة المصرية (خپر) وهو بمعنى صار أو تجدد . وقال الاستاذ ماسبرو يستنتج من ذلك أنهم رأوه يتولد ويعيش تحت الارض فحسبوه موجوداً من غير تناسل وأداهم الوهم الى احتسابه شبه الآلهة فعبدوه واتخذوا صورته رمزاً للتجدد والخلود واعتقدوا أن من نقش اسمه على جعران ضمن لنفسه الحياة الأبدية . وكذلك رسم اليد والعين كانوا يستعملونه لابعاد الشر ومنع الحسد وجلب الخير والتماس السعادة ،وكان لازوريس وحده مائة نوع وأربعة من أنواع التمائم والتعاويذ

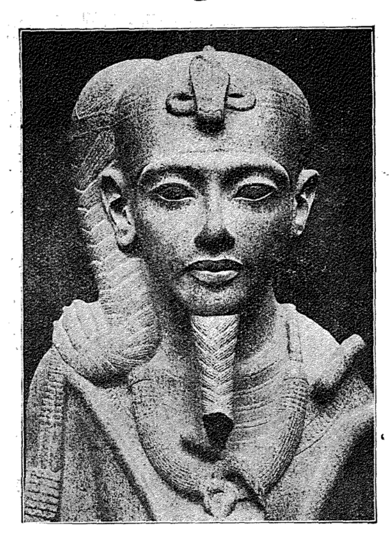
ويوجد الآن بدار الكتب الأهلية بباريز شاهد للأميرة بختان يدل على ان الساحر مهما بلغ من علو الكعب فى علومه كان يلجأ الى الآلهة بصيغ سحرية . ومما وجد منقوشا

جعران نخاو الثانى فرعون مصر(الاسرة ٢٦)


رسم جعران آخر

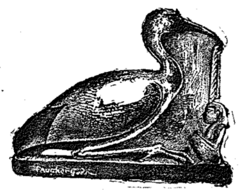
بهذا الشاهد ان بنتراشيد بنت بختان واخت زوجة فرعون مصر أصيبت بمرض أعجز أطباء وسحرة قومها،فطلب أمير بختان من صهره فرعون أن يرسل اليه ساحراً مصرياً فأرسل اليه أحد السحرة البارعين، ولما عرضت عليه وجد بها روحاً خبيثة فالتجأ بتعاويذه الى الاله خونسو ابن المعبود امون الشهير الذى كانوا يدعونه لشفاء الامراض،فلما ذهب خونسو الى بختان استقبله الأمير وقواده وجنوده، ثم اقترب من الأميرة المريضة

فأجرى لها عمليته السحرية وذهبت منها الروح الخبيثة وشفيت فى الحال



المعبود خونسو إله القمر الذى يعبد فى طيبة وهو ابن المعبود أمون وأمه موت ويكون هؤلاء الثلاثة ثالوث طيبة الأكبر . والأصل بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى بالقاعة I رقم ٤٦٢ وقد اشتهر بشفاء الأمراض وبعمليات السحر .

وممن اشتهروا بشفاء الامراض الاله تحوت حامل الكلمات الالهية وصاحب الصيغ السحرية وازيس وابنها حورس .



رسم الطائر إبيس
والمعبودة ماعت

رسم الطائر إبيس المعروف بالكركى الذى كان يتغذى بالحيوانات الرخوة المولدة لمرض البلهرسية فيفنيها وكان قدماء المصريون يحترمونه ويحترمون فيه تحوت إله الحكمة وبجانب هذا الاله المعبودة ماعت ممثلة على شكل امرأة وعلى رأسها ريشة العدالة وهى إلهة القانون والعدل والاصل بقاعة الآلهة المصرية بالمتحف المصرى


رسم المعبود تحوت رأسه على شكل الكركى وباقى جسمه على شكل انسان وهو إله الحكمة والكتابة والسحر

وبلغ السحرة من احتيالهم الادعاء بأنهم يتخذون مهارة فى التوقى من الأمراض ومحاربتها قبل وقوعها والتجأوا فى ذلك الى علم الفلك. وقد قال ديودور الصقلى المؤرخ اليونانى أنه لا توجد بلدة فى العالم كمصر لوحظ فيها بكل دقة نظام الكواكب وحركاتها ، ودونت بها المؤلفات الفلكية منذ قرون مبينة علاقة الكواكب بالمواليد الحيوانية وتأثير الكواكب فى الخير والشر.

وقد عثروا على ورقة ساليير البردية التى يرجع تاريخها الى ١٣٠٠ سنة ق. م وترجمها العالم الأثرى الفرنسى شاباس تنبىء بمعلومات كثيرة فى التفاؤل والتشاؤم مثل القول أن المولود فى اليوم الرابع من شهر أبيب يموت بالعدوى ، وكل مولود فى السابع والعشرين منه يموت فريسة للتمساح ، والمولود فى التاسع من شهر بابا يعيش حتى تدركه الشيخوخة.

ولا زالت هذه الخرافات سائدة الى أذهان كثير من المصريين الآن إذ من الناس من يعتقد أن فى البيت سكانا من الجن فيحتاط فى اتقاء شرهم، ولا يكنس بيته ليلا فيقلق راحتهم، ولا يجلس على عتبات البيوت فى المدائن لأن الجن تتردد عليها، ويمنع أطفاله من الصفير ليلا حتى لا تكثر الجن حوله

وكان لبعض النساء معرفة تامة بعلوم السحر واتصال بالارواح فكانت الملكة تصحب الملك الى المعبد محافظة عليه من تلك الطوارىء. وقد أخبر ديودور الصقلى أن العجل أبيس كان يسلم للسيدات أربعين يوما قبل وضعه فى الهيكل.



العجل أبيس الممثل المعبود فتاح على الارض والأصل من البرونز بالطبقة العليا من المتحف المصرى

العجل أبيس

وكان من عادة السحرة العناية بحفظ الصيغ السحرية المنظومة حفظاً متقناً ويكررونها مراراً فى أوقات معينة مترنمين بها كما يفعلون فى ترنيم الحفلات

وكانوا يشترطون على من يريد صيغة لجاب الخير أن يكون على طهارة تامة فى ثوبه وبدنه مدة أيام متوالية، ويدهن نفسه بأنواع مخصوصة من الطيب والزيت، ويدعونها مع إطلاق البخور فى مبخرة خاف أذنيه، ويطهر فمه بالنطرون، ويلبس نعلا من الجلد الابيض ويرسم على فمه بالحبر الأخضر رسم (ماعت) معبودة الحق ويمكث فى دائرة منزوياً عن العالم لايخرج عنها عاكفاً على الرياضات النفيسة حتى يتم عمله وتظهر لمداركه فيها علامة النجاح، واعتبروا طريقة استعمال الصيغ السحرية من

الأسرار المضنون بها، فلا تلقن الا لمن يثقون به ويستطيع تأديتها، وكانت لهم إشارات يستعملونها أثناء التلاوة بالأيدى ونحوها، ولا تتم أعمالهم فى النجاح الا بها، ولم يرسموها على الأحجار ولا على الأوراق البردية بل جعلوها سراً مكتوماً فى الصدور يلقنونها لمن يرون فيه التضلع والكفاءة

والى هنا نمسك عن الاطالة فى تكرار الصيغ والحوادث المدونة فى علوم التاريخ بهذا الشأن واعتقادنا أن القارىء يكتفى بهذا الايجاز لأن به الالمام الكافى فى الموضوع ومنه يعلم أن السحر كان من الفنون المألوفة وتتلقاه الطبقات الراقية، ولم يكن محض تصورات ناتجة من خيال الحواس أو الوساوس الشيطانية

الطب الشرعى

لم تقف بقدماء المصريين براعة الحذق وسعة التضلع فى العلوم العقلية والنقلية عند مرتبة خاصة فى التفوق، بل كانوا كلما نبغوا فى علم أو مبحث أجهدوا قواهم فى الوصول الى الأسمى مما بلغوا. وكانت عنايتهم بالتشريع واجراء مقتضيات العدالة فى مقدمة مايبنون عليه عظم صولتهم الدولية وتأييد رهبتهم فى نفوس الرعية لاعتقادهم أن بحفظ النظام فى سياسة الشعب يتكون للملك السلطان الأعلاء، وللهيئة الحاكمة الرهبة القلبية . وكانت عنايتهم بالقوانين الوضعية للعقاب والتقاضى فوق كل شىء ، وكانوا فى أنواع الجرائم يحرصون جهدهم على كشف الجنايا واقامة

الأدلة لاثباتها على فاعليها وتوقيع الجزاء الكامل للردع والزجر، ولم يتركوا سياج القضاء مهملا من التحفظات الكافلة لارتياح ضمائرهم فى تطبيق اجرآتهم على قواعد العدالة الحقة . ومن هذا القبيل التحفظات الشديدة التى قرروا اتباعها عند وقوع الجرائم الجنائية ،وبالأخص مايتعلق بالاعتداء على الأرواح كاستعمال الأسلحة فى المضاربات ونحوها،والاحتيال فى ازهاق الحياة بالوسائل العدوانية سواءكانت حوادثها بظروف ظاهرة أوبوسائل تستدعى يقظة ومهارة المحقق لكشف الستار عما يكون تخلل أدوار الحوادث الجنائية، لأن الأشرار من قديم العهد جبلوا على الاحتيال فى إخفاء معالم الجرائم والاجتهاد فى إخفاق مايتخذ لمقاصاتهم

وقياماً بالواجب أمام العدالة والتاريخ العام جعلوا فى نظاماتهم القانونية مايسمى (الطب الشرعى) أى ان هذا العنوان فى الموضوع القضائى ليس من ابتكارات العصر الحاضر، بل هو مما سبقت اليه مدنية قدماء المصريين فى عصورهم الغابرة . ولا غرابة فى ذلك لأن يقظة الأذهان فى كل جيل تستدعى هذا الاحتياط . فعلى نسبة التقدم فى المعارف والعلوم يكون اعتياد الأشقياء على التفنن فى أعمالهم العدوانية ، ولا محيص للهيئة الحكومية نظراً لذلك من أن تلاحظ فى تشريعاتها كل ماتقتضيه حالة المجتمع فى جلب الخير ودفع الشر

وكان الطب الشرعى ينحصر عندهم فى الكشف أولا على الوفيات العامة أى توقيع الكشف على الموتى معرفة أطباء يعينون لهذه المهنة والتأكد من أسباب الوفاة . فان كانت طبيعية أو بأمراض أو عارضة لحوادث ليس فيها اجرام أمكنهم التصريح بالدفن، والا عرضوا الأمر

للسيطرة القضائية لتفحص الوقائع وتتخذ نحوها التحريات لحصر الشبهة فى من تقع عليه مسئوليتها فيجرى عليها الكشف الطبى ثانياً. وكان لا يؤدى وظيفة الطبيب الشرعى فى كل مركز الا من تتوفر فيهم سعة الكفاءة والخبرة التامة والأمانة النفسية والحرص على العدالة والاشتهار بالاستقامة والنزاهة ، ليكون قرارهم فى المسائل الجنائية المصباح الأول لاعطائها الوصف الصادق، ولتبنى عليه الهيئة القضائية أسانيد عادلة تكفى لتوقيع العقاب المناسب

وكان من عادتهم اذا وجدت فى ظروف الجنايات نساء حوامل أن لا يتسرع القضاء فى تنفيذ العقاب، بل يؤجل حتى تضع الحبلى جنينها كيلا يتأثر وهو فى ظروف التكوين بما قد ينتج من تنفيذ النظامات السجونية على الأمهات ،فينشأ الجنين طفلا محوطاً بالضعف والانحطاط البدنى وهو لا دخل له فى الجريمة التى عوقبت عليها الأم ،وشتان بين عواطف الانسانية هذه والقانون الحالى الذى ستمرُّ بالقارىء الملاحظة عليه فى ذلك .

وكانوا يخصصون للتحريات فى أمثال هذه الظروف بعض الكهنة الموثوق بأمانتهم من الوجهة الطبية والدينية ليس الا ويخصصون لها أيضا بعض القوابل بمعنى أن هذه الطوائف كانت الدوائر القضائية تأخذ بارشادها وأقوالها فى كشف الحقائق طلباً للانصاف والعدل الذى هو الضالة المنشودة للجميع فتستعين الهيئات الحكومية بمن تنتقيهم أعواناً لها فى تنفيذ مقتضياته

أما القانون المصرى المتبع الآن فلا يراعى فى أمر الحبالى شيئاً الا بما يختص بعقوبة الاعدام فقط فيؤجل تنفيذه عليها الى مابعد وضعها ،

فاذا كانت العقوبة حبساً فتنفـذ نحوها اجرآته وغاية مافى الأمر أن تبذل نحوها عناية مؤقتة فى أسبوع الوضع فقط .

ومن هذا تكون العدالة فى العصور الأولى روعيت فيها ظروف الشفقة نحو الحوامل بوجـه عام بما لا وجود له فى قانوننا الحاضر الذى يترنم ذووه بأنه وضـع فى عصر المدنية الراقيـة والتنور المتزايد(المترجم)

قانون الصحة

اجتهد المصريون فى تطبيق القوانين الطبيـة على مقتضيات الحالة الصحية علمياً بمايناسب مواقع البلاد ،والاحتياط لدرء غوائل الأمراض قبل وقوعها ومنع انتشارها اذا حصلت . وكانت القواعد الصحية ينص عنها فى كل قانون بما يناسبه لتكون المبادىءالطبية متداولة بأيدى الطبقات فيما يكلفون باتباعه مساعدة لهم فى التحفظات الشخصية . وتلبية للأوامر النظامية فى كل مايستدعيها حتى صار من المألوف عنـدهم النظام الخاص بالمواد الغذائية وأوقاتها . وكانت هذه القواعد متبعة أيضاً على أشخاص من الملوك فلا يتناولون أكثر مما يقرره لهم أطباؤهم فى مواد الغـذاء والشراب وأوقاتها ، وتحديد الأزمنة لرياضتهم وانعكافهم على مباشرة الشؤون العامة الحـكومية ، فيكونوا على الدوام فى قوة متكافئة للقيام بالأعمال المجعولة مسؤليتها على عاتقهم طبقاً للنظام العام

قال ديودور الصـقلى ان الأمور الطبيعية كالمباضعة كانت منظمة عندهم حتى خصصوا لها أوقاتاً معينة وقال هومير وبلوتارك ان كل مصرى

فى ذاته كان كطبيب خاص لعائلته ، ويكتفى بتجاربه ومعلوماته لصيانة صحته لاعتيادهم على اتباع القوانين الصحية منذ نشأتهم . وكانوا يعتبرون الأطباء كمعلمين يتلقون عنهم العلوم الصحية ويلقبونهم (محامى الصحة) واعتبرهم اليونان انهم منشئوا علم صحة الأبدان ، وقالوا ان المصريين هم الشعب الوحيد السليم البنيـة الذى يمكنه أن يعمّر طويلا مع بساطتهم فى أدوار الحياة وتناول الأغذية البسيطة وليست كذلك الشعوب الأخرى.

واشتهر الشعب المصرى بالأيناس والبشاشة والنظافة . وكان الكهنة يزيلون عن أجسامهم كل يوم الأدران والشعر ، ويغتسلون بالمـاء البارد مرتين فى كل أربعـة وعشرين ساعة ، وكانوا دائماً يحرّضون الشعب على الاقتداء بهم فى ذلك ،خصوصاً للفريق الذين تدعوهم شـؤونهم المعاشية للتلوث بالأتربة ونحوها،وكانوا يحتمون على أنفسهم الاغتسال قبل الدخول الى الأماكن المقدسة وأماكن العبادات وكذلك بعد مباضعة النساء

وكان المصريون القدماء يفضلون المعيشة فى الخلاء بقـدر الامكان، ويجعلون لهم المنازل الفسيحة وفيها البساتين ، ويبنون فى أعالى دورهم أماكن تساعد على الانتفاع بطلاقة الجوّ ونقاوة الهواء ،ويلبسون فى أوقات الاستراحة من الأعمـال الملابس البيضاء كرياضة جسدية لأجسامهم . وكانوا على جانب من المحبة للأعمال الرياضية بأنواعها بما فيها الصيد والقنص. قال شامبليون انه وجدت فى مقابر بنى حسن رسوم للأسرة الحادية عشرة أى منذ (٢٠٠٠ سنة ق . م) تدل على أن المصارعة كانت معروفة عندهم واشتهروا بالبراعة فيها ، وكانوا يعتنون بغسل الأيدى قبل الطعام وبعده وغسل كافة الأوانى والأدوات المنزلية المخصصة للطبخ وغيره، وكانوا

يتعمدون عدم التكلف والتأنق فى الأغذية، وكثيراً ما كانوا يقصرون طعامهم فى أغلب الأوقات على الخبز والكعك والخضروات والثمار والأسماك والطيور ويمتنعون عن أكل لحم الخنزير لخبث تغذيته، وكذلك أكل لحم الكركى والتمساح وجاموس البحر، وكانوا يصومون أياماً عديدة فى السنة وكان الصيام يسبق عيد المعبودة إزيس، ولا يتعاطى الكهنة شيئاً من الخمور ولا يأكلون الفول والبصل لأنهما يساعدان على زيادة التبخر المعدىّ وتوليد الغازات، وعن السمك أيضا لأن لحمه منبه للدم وهم بحسب مهنتهم يطلب منهم أن لا تثور حواسهم بما يمنعهم عن التفرغ لأدائها بخشوع واستكانة

وكانت لهم عناية عامة بالأحوال الصحية حتّمها عليهم تضلعهم فى الفنون الطبية، ورأوا من مقتضياتها اتخاذ كل ما يمكن لتوقى الأسباب المؤذية لأى خطر صحى على الأجسام سواء باصابات مرضية أصلية أو بعوارض العدوى ونحوها

وكانوا يرون ان العناية بمياه الشرب فى مقدمة الاحتياطات الواجبة، وكانوا يفضلون الماء القراح على كل الأشربة، ويعمدون الى تطهيره من المكروبات بواسطة غليانه على النار حتى يبلغ أشد درجات الحرارة، ثم يجعلونه فى الآنية المناسبة لاكتساب البرودة حتى يكون صالحاً سائغاً للشرب، ويبالغون فى هذه الاحتياطات توقياً من الأمراض الباطنية وعند ظهور نوع من الأمراض الخطرة ذات الانتشار والعدوى

وعرفت العناية بتقطير المياه وغليانها عند أغلبية الطبقات اقتداء بنصائح الأطباء، وعنهم أخذ الملوك هذه القواعد الصحية. ومن الأدلة على

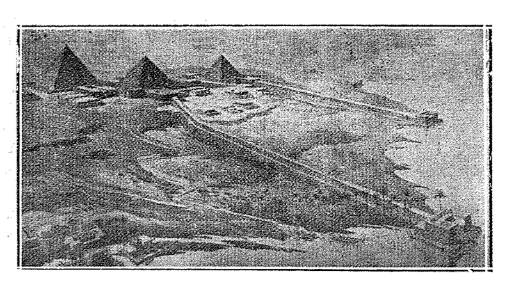
ذلك انه فى سنة ٥٥٠ ق . م . عندماعزم الملك شورش على القتال اتخذ معه كميات من الماء فى أوانى فضية ،ثم تقررت هذه القاعدة فى كل حركات للملوك حالة ابتعادهم عن عاصمة مملكتهم . وقال هيردوت ان هذه العادة قررها الملك المذكور فى نظامات هيئته الملكية و تنقلات الجيوش ونحوها، امتثالا لنصائح اثنين من اطبائه الثقاة تلقيا علومهما الطبية عن أساتذة من الأطباء المصريين . وهذه التفصيلات تثبت لنا من طرف آخر ان العناية باستصحاب المياه المقطرة فى حملات الجيوش ليست من مخترعات العصر الحاضر ، بل هى مما أرشدت اليه سلامة البداهة وقوة العناية والفطنة فى عهد قدماء المصريين. وهذه المسألة وأمثالها مما يصدق عليه المثل المتداول « لم يترك الأوائل شيئا من الفضائل للآواخر » وهكذا يؤثر عن تطور الشعوب فى ترقيها العمرانى والملكى ، لان مصر كانت قبل براعتها فى الفنون الطبية عبارة عن مستنقعات وتنتشر منها فى البلاد أنواع الحميات البطاحية وغيرها . وقد اجتهدوا فى تلك الأدوار فى تجفيف المساحات الواسعة من الأراضى حتى تلاشت المضار التى كانت تتولد أغلب الشهور من الحشرات المائية وغيرها. و بتداول الاوقات و الاستمرار فى الأرتقاء العملى والعمرانى أصبحت مصر ملجاء للعلوم العظيمة، يقصدها الناس من كل فج لتلقى العلوم من كبار اساتذتها والاستشفاء بجوها المعتدل ،ولازالت مصر الى الآن موئلا لالتماس الشفاء فى أغلب فصول الشتاء ،فان المئات من آلاف السياح يقصدون مصر لهذه الغاية قصدا أكيدا لايذكر فى جانبه تظاهرهم بكونهم يقصدون السياحات المحضة ورؤية الآثار والمرور على قفارها

وكان الفراعنة على جانب عظيم من الرأفة بالرعايا مهما بلغت بهم الظروف فى بعض الأحوال لاستعمال القسوة والشدة ، ومما يؤثر فى هذا المعنى للملك خوفو منشىء الهرم الأكبر انه استمر فى بنائه نحو ثلاثين عاما وكان عماله ١٠٠٠٠٠ فباشارة الأطباء لمنع انتشار الأمراض والعدوى كان يعد لهم بعض الملابس، ويأمرهم بالأغتسال يوميا فى الأوقات المعدة للراحة من العمل ، ويجعلون لهم أماكن خاصة بعيدة عن محل اشتغالهم لتأدية كل احتياجاتهم على ابعاد متفاوتة، حرصا على نقاوة الهواء وعلى سلامة أبدانهم من مضار التلوث بالمواد القذرة ونحوها. وكان الأطباء يرتبون لهم محاجر صحية ويجعلون فيها من يتقرر عزلهم عن باقى الأصحاء فى أماكنة خاصة على صخرة مرتفعة . وفى كل عام كانوا يحرقون مساكنهم ويجددون غيرها حتى لا تصيبهم المضار من مكروبات تكون كامنة بين بنائها

وتحنيط الجثث كان من أقوى البواعث عليه فى مبادىء أمره الاعتناء بالاحتياجات الصحية العامة (لان حرارة الجوّ تساعد على انتشار المكروبات عند تعفن الجثث اذا كان دفنها فى المقابر غير مستكمل للأشتراطات الصحية) وكانوا يكتفون فى مبادىء الأمر بتجفيف الجثث بواسطة دفنها فى مناطق رملية تكفى لامتصاص السوائل ، وارتقوا بعد أجيال الى جعل التحنيط عملياً ثم إجبارياً فى بعض الظروف ليحفظوا البلاد من تلويث الهواء ، بما ينتشر عقب فساد الأجسام من أماكن الدفن الغير صحى. وبهذا تتأكد أن مصر استمرت معظم أجيالها فى الأكتشافات العلمية النافعة، وفى الترقى لوقاية الأنسان بكل ماتصل اليه الأستطاعة فى العناية بالفنون الطبية ، وان الطب كانت له المكانة الأولى عندهم قبل هيبوكرات الذى يلقب أب

الطب ويرجع تاريخه عند قدماء المصريين الى ٦٠٠٠ سنة

فمصر بهذا المعنى جديرة بأن نلقبها (معلمة الجنس البشرى) وآثار قدمائها تذكرنا بما كانت عليه مدنيتهم من التفوق والأبداع ، خصوصاً ان أغلب هذه الآثار الشاهقة والمعابد والهيا كل يرجع تاريخها الى ٥٠٠٠ سنة ، أى قبل التوراة وقبل أسكولاب وهومير. ففى الوقت الذى كانت فيه أروبا مستغرقة فى أحوالها الهجمية والعقول الحجرية ، كان بمصر رجال فضلاء يبذلون كل مجهود فى الرقىّ الأنسانى وزخارف الحياة التى بها قضوا حياتهم العزيزة وأدوارهم الساطعة فى رفاهية وعرفان ، استطاعوا بهما سعادة المجتمع الأنسانى وتخفيف ويلات الأمراض التى كان فتكها بالأمم الأخرى فوق ماتتصوره الأفهام



رسم الأهرامات الثلاثة بدهشور (سقارة)



التحنيط



لما يوجد من الأرتباط العلمى بين المباحث الطبية العامة التى مرت الأشارة اليها فى الجزء السابق من هذا الكتاب ، وبين علم التحنيط من الأرتباط الفنى فى كثير من الملحوظات العلمية ، رأينا بعد الفراغ من ذاك الجزء اثبات الملحوظات الآتية التى استطعنا اقتباسها من كتاب الدكتور لويس ريتر (Louis Reuter) الذى ألفه خاصا فى علم التحنيط (L, embaumement avant et aprés J.C) إتماما لفائدة القارىء ليكون ملما قدر الأمكان بمبادىء وقواعد الفنون المذكورة ، لأن الأرتباط بينها يمنح الذاكرة اكتشافا معنويا يبعث على الاذعان بفضل اولئك القوم ، ويساعد فى الاستنارة بالمعلومات التاريخية فى كل فرصة تسنح سواء عما وصلت اليه مجهودات الباحثين فى العصور الاولى ، اوفيما تجود ظروف الامكان باستكشافه . والعقل البشرى بحكم ارتقائه دائم الاحتياج الى الاستفادة والاقتباس من كل جديد . وقد رتبنا هذا الجزء فى مباحثه على التقسيم الآتى :

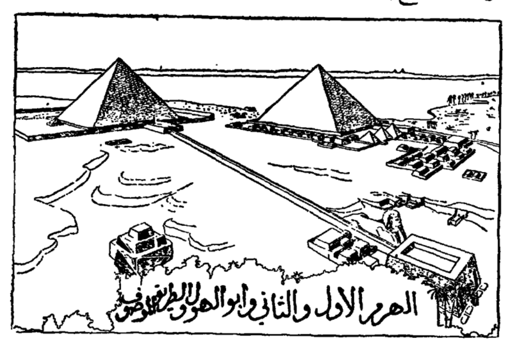
الدار الأبدية عند قدماء المصريين

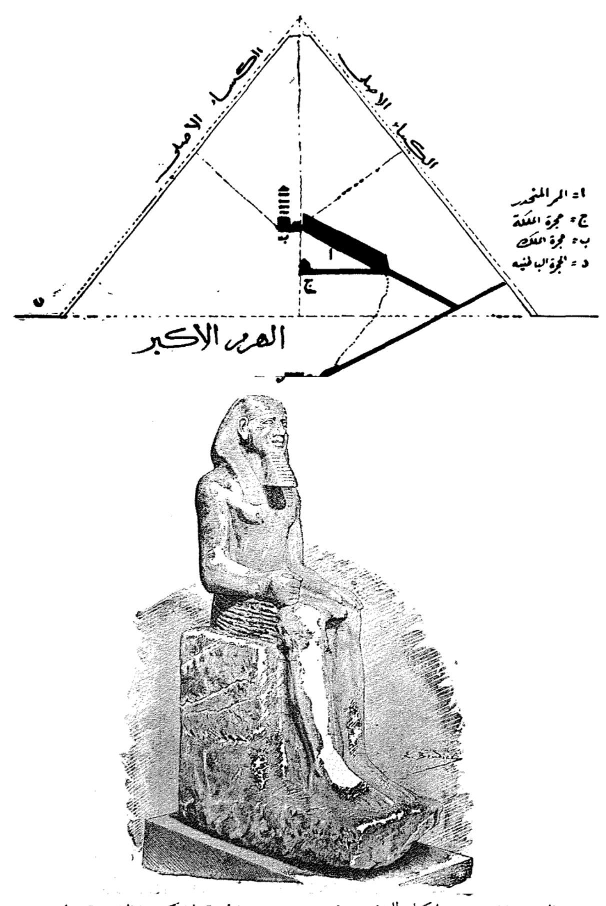
كان من اعتقادهم ان المأوى الأخير للأنسان المعروف فى الاصطلاح المتداول بالقبر هو دار النعيم الأبدية ، تأوى اليه الأرواح بعد استقرار

الأجسام فيها بأمن وطمأنينة ، ولهذا أحلوها من المكانة والاحترام المكانة الأدبية المطابقة لهذا الأعتقاد. وكانوا يتفننون فى تشييدها تفننا وإبداعا ينطوى على مقاصد عديدة منها إجلالها الاعتبارى للمعنى المتقدم ، ومنها الرمز بمبانيها وفخامتها الى عظمة وسطوة من يسكنها كالمقابر المشيدة والأهرامات الضخمة والهيا كل الفخمة . فمن اولئك الفراعنة من كان يشغل وقت حياته بتشييدها تحت اشرافه ، شاملة لكل ما تخيل من ضروب العظمة والفخامة وأنفق عليها من الأموال والوقت ما استطاع ، ومنهم من كانت تعوقه شواغل الملك عن البذخ بهذه الآثار، فيعتنى بأقامتها بعده تعظيما لقدره وتفخيما لذكره من يرثه فى الملك والسطوة، وكانوا يضعونها بأشكال هندسية باهرة تختلف فى أشكالها حسب الاصطلاحات الوضعية المستحسنة فى ذوق كل جيل . وكانوا يجعلونها أماكن وحجرات متعددة تمثل إيوان الملوك وديار سلطانهم ، وتمتاز عنها بانها محفورة فى الصحراء ومحاطة بدهاليز ونحوها توقيا من طوارىء الجو وحوادث الغيب التى كانت كثيرة الوقوع فى أيامهم كالطوفان ونحوه

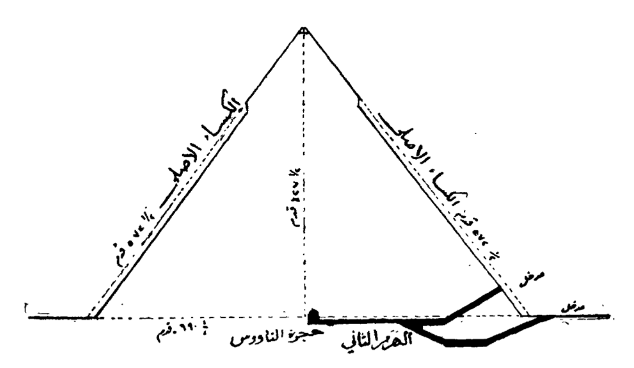
وكانوا يعتنون باعداد المشتملات المنزلية فى تلك الحجرات كالأسرة والأوانى الثمينة والمصنوعات المعدنية وأنواع من الأطعمة ايضا، لاعتقادهم ان الأرواح بعد انسلاخها عن الأجسام واستقرار الموتى فى مقابرهم ، يكون لها اشراف على الجثث فتأنس بمناظر ما كانت تعتاده فى استعمالاتها الدنيوية، ويأولون ذلك بان اشراف الأرواح على الأجسام بعد انتقالها من الحياة الدنيا، يجعل لها شبه التمتع الغذائى نظريا بأنواع ما كانت تألفه فى حياتها البشرية . وهذا الاعتقاد كان ساريا عندهم كأنه

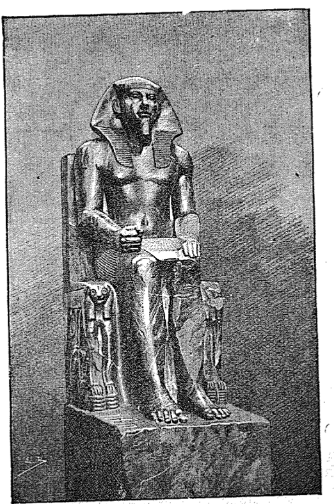
من الاصول الأولية فى النظامات الدينية . وكان عامة الناس لا يستطيعون اتخاذ ذلك لموتاهم، لانه يستدعى نفقات وسطوة لا يقوى الافراد عليها ، فكانوا يكتفون بالاعتقاد الوجدانى مؤملين من رحمة الدينونة ان تمتع أرواح الفقراء بما تكون فى حاجة اليه . اما الفراعنة والعظماء فكان لديهم من قوة البأس ووفرة الاستطاعة على تنفيذ كل ما يختارونه فى هذه الواجبات ، وتدل على عنايتهم الفائقة بها ما شوهد من آثارها فى مقابر واهرامات وهياكل الجيزة ودهشور وسقارة وممفيس وطيبة وتل العمارنة واسيوط وابى دوس وقبطوس وغيرها بالأقاليم القبلية والبحرية، وكانوا يسمونها مراقد السعادة وليست مساكن الموتى، فيخصونها بحسب اعتقادهم بأقامة التذكار وتقديم النذور وتخصيص افراد لتأدية الفرائض الدينية حولها بداخل ما يشيدونه قريبا منها من الهياكل والمعابد وكانوا يصفون الأرواح بالخلود .



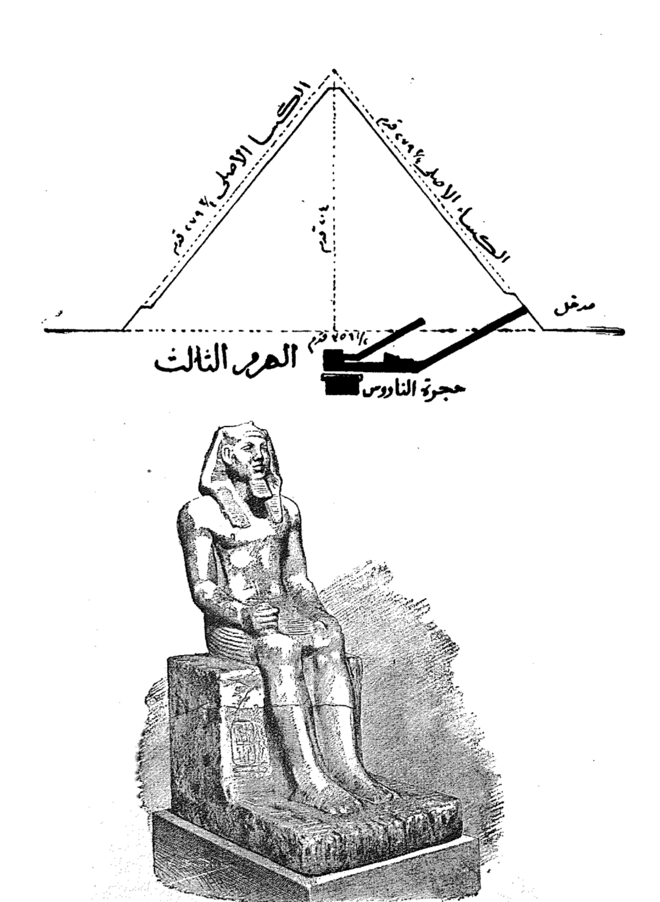


تمثال من المرمر ربما كان للملك خوفو مشيد هرم الجيزة الاكبر (الاسرة ٤)
والأصل بالمتحف المصري بالطبقة السفلى بالقاعة B رقم ١١٥





تمثال من الحجر الديوريت للملك خفرع مشيد هرم الجيزة الثانى (الاسرة ٤)
والأصل بالمتحف المصرى بالقاعة B رقم ١٣٨



تمثال من المرمر الابيض للملك منقرع مشيد هرم الجيزة الثالث (الاسرة ٤)
والأصل بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى بالقاعة B رقم ١٥٧

عقيدة قدماء المصريين

بخلود النفس وبالحياة الآخرة

قال هيردوت المؤرخ اليونانى « ان المصريين هم أول الشعوب الذين اعتقدوا بخلود النفس » وورد فى النصوص المنقوشة على الأهرام التى يرجع تاريخها الى الأسر الأولى « ان النفس خالدة ولا تموت أبدا » ولا نزال نقرأ على تابوت (ابعنخو) وهو من الدولة القديمة هذا النداء « أنت ايها المتوفى ابعنخو قم قم عش وسر » وفى الفصل ٤٤ من كتاب الموتى ان الميت يقول «انا لا أموت مرة ثانية فى العالم الثانى » ويتضح من عقيدتهم فى الدينونة بعد الموت ،ومناقشة الحساب عن حسناتهم وسيئاتهم ان النفس خالدة . فيؤخذ من هذا اعتقادهم بانه لا بد من حياة ثانية بعد الموت الأول

وكان من اعتقادهم ان النفس مؤلفة من جملة اجزاء (١) من (با) أى النفس وهى برسم طير (٢) من (كا) اى الجسم الثانى للأنسان وهو برسم ذراعين مرفوعين (٣) من (خو) اى النور وهو يمثل روح الميت (٤) من (اب) اى القلب وهو الذى تراه فى مشهد ازوريس الحامل فى كفة الميزان الألهى مجموعة حسنات المتوفى وسيئاته (٥) من (رن) اى الاسم برسم حلقة مستطيلة وهو الذى يخلد ذكرى المتوفى ويحييه (٦) من (خايبت) اى الخيال (٧) من (ساهو) اى القوات . والى القارىء تفصيلات تلك الاجزاء :

أولا اما (با) ومعناه النفس الممثلة على شكل طير فهى المبدأ

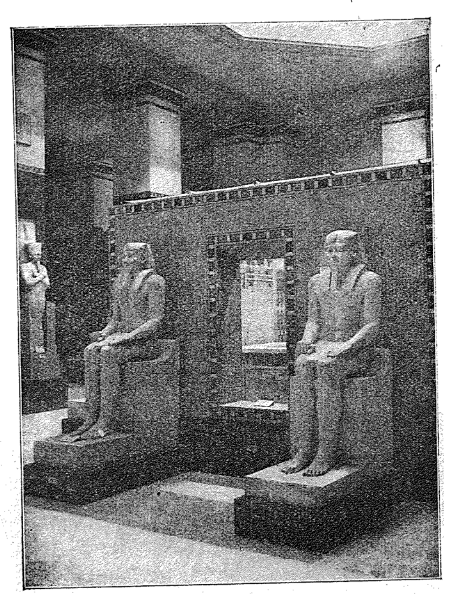
الحيوى لان به حياة الجسد . ويعتقدون ان النفس منبثقة من الأله وجزء من جوهره . ولا نزال نقرأ فى أناشيدهم المؤلفة فى عهد رعمسيس الثانى « انه لا فرق بين أرواح الفراعنة وأرواح الآلهة » وبما ان أرواحهم من الجوهر الألهى الغير المخلوق . فلا بد ان تكون أرواحهم غير مخلوقة ايضا لا سيما وهى لم تخلق للجسد الذى حلت فيه فقط ، فانها حلت فى أجساد قبله وستحل فى أجساد بعده ، فهى فى زعمهم لا تموت لانها سرمدية ومن الجوهر الأله وهذا هو رأى القائلين بتقمص الارواح . اما الرأى الذى عوّل عليه أئمة الأديان الى الآن فهو ان كل روح خلقت مع الجسد الذى حلت فيه ، وبما انها خالدة فتحفظ شخصيته بعد موته وتتألف كلها جسدا ونفسا للأبد فى يوم البعث . والفضل فى ذلك مرجعه لخلود النفس ولو فنى الجسم ، اما اذا ثبت البقاء لشخصية الأنسان بعد الموت كما اعتقد قدماء المصريين، فذلك مرجعه الى الجسد وحده لان مذهبهم ان الروح تابعة للجسم تفنى بفنائه وتبقى لبقائه كما ذكر



الميت وبقربه روحه

رسم الميت وبقربه روحه على شكل طير برأس أدمى والأصل بالمتحف المصرى

ثانيا ـ اما (الكا) اى الجسم الثانى للأنسان فهو مكوّن من مادة ألطف من المادة الجسدية وغير محسوسة وهو صورة الشخص ذاته ، فانه على هيئته وشكله سواء كان طفلا او رجلا او امرأة، ويخلق مع الجسد ويولد معه ويتحد معه تمام الأتحاد فى الحياة الدنيا، ويسكن القبر معه بعد الموت



الملك سنوسرت الأول وله عشرة تماثيل من الحجر الجيرى بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى بالقاعة حرف C رقم ٣٠١ عثر عليها بقرب هرم اللشت (تبع مركز الصف مديرية الجيزة) وكلها تمثل هذا الملك وجسمه الثانى

ولكنه يستطيع مصاحبة النفس الى محكمة ازوريس والى الجنة ويصير إلها . فيقدمله أهله أو الكهنة المنوطون بخدمته فرائض العبادة فى القبر ، وتحنطله الجثة ويتلبس بها متى أراد ، ويتلبس ايضا بالتماثيل التى كانت توضع له فى القبر عند فناء الجثة المحنطة . وكانوا يكثرون فى القبور من هذه التماثيل التى تنوب عن الجثة ليضمنوا له طول البقاء ،لان فى اعتقادهم اذا فنيت الجثة المحنطة والتماثيل النائبة عنها زال معها الجسم الثانى .وكانوا يضعون حول الجثة ما يحتاجه من خبز وثمر ، وكثيرا ما كانوا يكتفون بوضع رسوم هذه الاشياء على جوانب القبر ،ومتى تلا اهل الميت او الكهنة الأدعية والصلوات الى الآلهة، تحركت وصارت طبيعية فيتلبس الجسم الثانى بالجثة المحنطة او بأحد التماثيل النائبة عنها ،ويتغذى من هذه الأطعمة . وقد يتعدد هذا « الكا » اى الجسم الثانى لشخص واحد حتى يصل الى ١٤

وبما ان الجسم الثانى يكون من مادة ألطف من المادة الجسدية، فربما وقع فى سبات عميق فيوقظونه بالعزائم الروحية ، فيحى ويتلبس بالجسد المادى فيحييه ويصير معه كما كان فى الحياة الدنيا . ومع ان هذه العقيدة كانت راسخة عندهم فانهم كانوا لا يعتقدون بيوم الحشر والنشر المسمى بيوم القيامة بل عندهم ان كل من مات قامت قيامته

وقد ورد هذا « الكا » كثيرا فى الآثار . فقد وجد منقوشا على قبر (رخمارا) هذه العبارة « فليقم جسمك الثانى من بعدك » ونشاهد على قبر (بنونوف) فى طيبة رسم ابناء حورس الاربعة حاملين الجسم الثانى للمتوفى وقلبه وروحه وجثته . وقرأنا على قبر (طاهو)

« ان الجسم الثانى للميت وروحه وخياله وجثته جميعها طاهرة » وقد رسمت بمعبد الدير البحرى بالأقصر صورتا الملكة حتشبسوت والملك أمنوفيس الثالث ، ويفهم من تلك الرسوم انه لما تم زواج فرعون أمر امون رع رئيس الآلهة المعبود خنوم الفخار السماوى ان يخلق جسد الطفل فلما جمع خنوم الرماد على كرسيه صنع منه انموذجين وهما جسد الطفل المادى وجسمه الثانى .

ثالثا ـ اما (اب) اى القلب فيذهب بعد الموت الى محكمة ازوريس ويحمل فى الكفة الثانية للميزان حسنات المتوفى وسيئاته. فاذا اتضح بعد الحكم ان الميت صالح اعيد له قلبه بامر الاله ازوريس ليحيي معه فى جنته. واذا كان ظالما فيصير فريسة الوحش الجهنمى



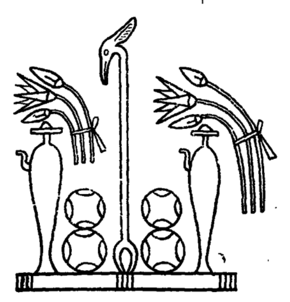
الملك حورس

الملك حورس وفوق رأسه هذه العلامة (لـــا) (كا) وهو رسم ذراعين مرفوعين . وهذا الرمز دليل حقيقى على ان هذا الرسم هو شخص الملك بعد فناء الجثة المحنطة، فتحل فيه روحه متى شاءت والأصل بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى بالأيوان F رقم ٢٨٠ (الاسرة ١٢)

المدعو باللغة المصرية (مم) أى المفترس رابعا ـ اما (خو) أى النور الالهى فانه رمز لذكاء الانسان كما ان (البا) اى النفس رمز لارادته

خامسا ـ اما (رن) اى الاسم الموسوم على شكل حلقة مستطيلة ، فهو يخلّد ذكرى الانسان ويحييه ، وبدونه لا تعرف شخصيته فى العالم الثانى . وان النفس ان لم تر اسم صاحبها على التمثال النائب عن الجثة المحنطة تصير عرضة للزوال ، لأنه فى اعتقادهم اذا زالت الجثة المحنطة أو ماينوب عنها من التماثيل الحجرية أوالخشبية تزول جميع أجزاء الانسان الأخرى ، فلذلك اعتبره القدماء جزءاً مستقلا لازما للانسان (٦، ٧) اماخايبت » أى الخيال (وساهو) أى القوات فلم يقف علماء الآثار على حقيقتهما الى الآن وقيل ان الخيال هو الجسم الثانى للانسان

فيتضح مما تقدم انهم اعتقدوا بخلود النفس واذعنوا بالحياة الآخرة بعد الموت . واذا افتخر الكلدانيون والآشوريون واليونان بمعابدهم ، فنحن سلالة قدماء المصريين نفتخر بهذه الجثث المحنطة التى مضى عليها أكثر من أربعة آلاف سنة ، ونحن نراها كأنها لم يمض عليها الاّ عشية أو ضحاها . اذن ليس حب التظاهر والكبرياء هو الذى جعل الأقدمين يصنعون قبوراً خالدة وأجسادا غير قابلة للمحو والزوال ، وانما السبب الحقيقى هو اعتقادهم فى خلود النفس وفى الحياة الآخرة



محاكمة الروح بعد الموت

عند قدماء المصريين (١)

(ترجمتها من كتاب الموتى وهو أقدم كتاب فى العالم) (٢)

يظهر الانسان فى الحال بعد الموت أمام محكمة أزوريس لمحاسبته عما فعل من الحسنات واقترف من السيئات ليلقى الجزاء العادل

يرأس ازوريس الأله الصالح محكمة العدل الكبرى ، جالسا على عرشه فى ناووس قائم فى صدر القاعة ، المكلل سقفها بالقناديل وعلامات الحق ، وأمامه أحفاده أبناء حورس وآلهة اربعة أركان العالم ، ومعهم اثنان وأربعون قاضياً بعضهم برؤوس بشرية وبعضهم برؤوس حيوانية ، وعلى رأس كل منهم ريشة نعامة رمزاً للمعبودة (ماعت) ممثلة الحق والاستقامة والعدل ، وفى يد كل منهم سيف لقتل الخاطىء ووظيفتهم ملاحظة مايظهر فى كفتى الميزان الذى يزن الحسنات والسيئات ، ومراقبة ذلك بكل دقة وتطبيق نتيجتها على أقواله ، وامام أزوريس وحش يدعى باللغة المصرية (مم) أى المفترس ، وأعضاء جسمه على أشكال مختلفة من جاموس البحر والتمساح والأسد ، تراه متحفزاً لافتراس الميت اذا رجحت كفة ميزان خطاياه

يقف الميت على باب قاعة العدل خائفا مرتعدا فى هذه الساعة الرهيبة التى يكون فيها الفصل النهائى فى أمر خلاصه أو هلاكه الأبدى وينفى عن

«١» إن الأبواب « عقيدة قدماء المصريين بخلود النفس وبالحياة الآخرة ، ومحاكمة الروح بعد الموت ، وعلاقة السحر بالطب عند قدماء المصريين » اقتطفتها هنا من كتابى الأدب والدين عند قدماء المصريين

«٢» انظر الرسم صفحة ٣٦

نفسه ارتكاب المحرمات قائلا :

(١) مرافعة الميت عن نفسه على باب قاعة المحكمة

«سلام عليكم أيها الأله العظيم صاحب الحق ، انى جئت إليك يارب خاضعا أمامك لأعاين مجدك، انى اعرفك واعرف اسمك وأسماء الاثنين والاربعين قاضيا الجالسين معك فى قاعة الحق ، والمتغذين من لحوم العصاة والمرتوين من دمائهم فى هذا اليوم العظيم وفى هذه الساعة الرهيبة . لقد أتيت اليك يا الهى متحليا بالحق متخليا عن كل خطيئة ، فانى لم اظلم أحداً ، ولم أسلك طريق الشر ، ولم أحنث فى يمين، ولم أشته امرأة قريبى ولا مال غيرى ، ولم اكذب قط ، ولم أخالف الأوامر الألهية ، ولم أسع فى ضرر عبد عند سيده ، ولم اجوع أحداً ، ولم اسبب بكاء لأحد ، ولم أقتل ابداً ، ولم أسرق خبز المعابد، ولم أحرز مالا حراما، ولم انتهك حرمة جثث الأموات ، ولم أرتكب الفحشاء ، ولم أدنس الأشياء المقدسة ، ولم أبع القمح بثمن باهظ ، ولم اطفف الكيل ؛ ولم أغتصب اللبن من فم الرضيع ؛ ولم اقتنص طيور الآلهة ، ولم اطارد حيواناتها ، ولم أتصيد الأسماك المقدسة من بحيراتها ، ولم أخالف نظام الرى ، ولم أقطع قناة فى ممرها ، ولم اتلف الأراضى الزراعية ؛ ولم أطفىء النار الموقدة فى المعابد والطرق العامة ؛ ولم أخالف ارشادات الكتب المنزلة ؛ ولم أمنع احتفالات الآلهة ؛ ولم احل بين الحيوانات ومرعاها ؛ ولم اهزأ بالحق ؛ ولم اخدع احداً ؛ ولم أفعل شراً ، ولم احمّل عاملا فوق طاقته ؛ ولم أكن قوّالا ولا نماما ، ولم اهن الملك ولا كاهن قريتى المقدسة ؛ ولم ارفع صوتى مع أحد ؛ أنا طاهر ، انا طاهر أنا طاهر ، وبما أنى مبرأ عن كل الذنوب وأعرف أسماء هؤلاء الآلهة المقيمين

فى قاعة الحق ، فأرجو أن أكون من الفائزين »

وبعد هذا الدفاع الباهر يأخذ المعبود أنوبيس بيد الميت ويدخله فى قاعة العدل ، فيقف أمام كل قاض على حدته ويدعوه باسمه الذى يعرفه ويخاطبه متبرئا من كل جريمة وخطيئة ، ثم يختم كلامه فيقول :

« سلام عليكم أيها القضاة المقيمون فى قاعة الحق المبين ، انتم الذين لا تحملون بين جوانبكم إلا الحق امام المعبود حورس ، ولا تأخذكم رأفة بالخاطىء عند الحساب الرهيب . نجونى فى هذا الوقت العصيب من (تيفون) الفتاك الجبار الذى يتخذ لحوم الأشرار قوتا ودماءهم شرابا ؛ انى جئت اليكم أيها القضاة بدون أن تدنسنى شائبة ؛ وليس لأحد علىّ تبعة ولا تعرض ؛ ولقد عشت بالعدل ؛ ونشرت الاصلاح فى كل صوب ؛ حتى حمد الناس سيرتى وسريرتى تسر الآلهة ؛ وتستخلص مرضاتهم ؛ وتستمطر رحماتهم ورضوانهم وتبيح لى فردوس جنتهم ، فكم أطعمت الجياع ؛ وسقيت العطاش ؛ وكسوت العراة ؛ وآويت الاغراب ؛ وقدمت القرابين للآلهة ؛ والولائم لأرواح الاموات ؛ وأوقفت سفنى لأبناء السبيل ؛ وكنت أباً للأيتام ؛ ويداً للأقطع والأشل ، وقدما للأعرج ؛ وعصا للشيخ ؛ وملجأ للبائس ، فلاداعى اذن لتقديم تقارير ضدى أمام الديان لأن قلبى نقىٌ ويدىّ طاهرتان »

(٢) صدور الحكم

ثم يعرض على الميزان والمعبودة (ماعت) ممثلة الحق والاستقامة جاثية فى كفته اليمنى ؛ وقلب هذا الانسان فى الكفة اليسرى رمزاً لأعماله ، وهو المنوط بتأدية الشهادة عليه . فاذا كان المتوفى صادقا فى دفاعه استقام

لسان الميزان. وحينما يشاهد قلبه هكذا يرتجف منزعجا ويقول له:

«أيها القلب الذى خلقت لى وانا خلقت لك فى عالم التكوين وأتيت معى الى الدنيا ؛ لاتنازعنى ولا تناقشنى الحساب بين يدى الأله ومجلس القضاء فى هذا الوقت الخطير واليوم العبوس؛ ولاتسقط كفة الميزان أمام أزوريس الأله العظيم والديان الرهيب»

وقد اختص بمراقبة الميزان وملاحظة كفتيه المعبودان حورس برأس صقر وأنوبيس برأس ابن آوى، وقاضى التحقيق (الاحالة) هو المعبود (تحوت) برأس الطائر إيبس حامل بيديه سجلا فيه أعمال الميت فيه فيدوّن نتيجة الحكم

(٣) الحكم بالبراءة

فاذا اتضح أن المتوفى من الصالحين الفائزين المبرئين من كل خطيئة، وان قلبه وكل أعضائه طاهرة، نطق أزوريس الأله الأبدى بالحكم النهائى فيقول له:

«فليخرج الميت فائزاً من قاعة العدل، وليذهب حيثما شاء، ولتفتح له أبواب الجنة، ولتزفه جميع الآلهة اليها، ولا تتعرض له حراس السماء بسوء ولتقدم له المؤونة والقرابين والشراب، وليعط له ثيابا من الكتان الجيد، وليرد له قلبه، ولتوهب له حياة جديدة، وليجلس عن يمينى فى الفردوس السماوى»

(٤) الحكم بالادانة

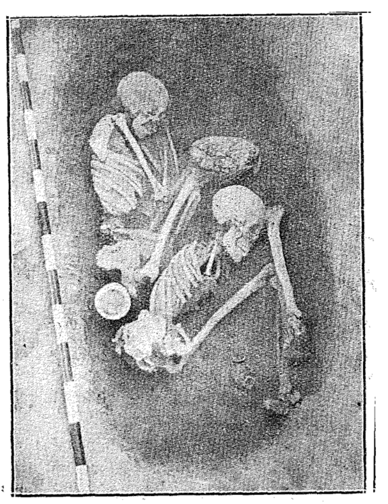
واذا تبين أن الميت من العصاة الاشرار يقول له أزوريس:

«إذهب عنى أيها الشرير الى الجحيم لتلاقى أشد العذاب وأمرّ النكال. وانتم أيها القضاة أقتلوه بسيوفكم وتغذوا الآن من لحمه واشربوا

من دمه ، وانتن أيتها الأرواح الشريرة اضربنه بالحديد واحرقنه بالنار ، وأنت يامم الوحش المفترس قطعه اربا اربا وتغذ من أحشائه . فليفن جسدك أيها الخاطىء ولتعدم نفسك ، وليشطب اسمك من سفر الحياة ، قد جعلتك غنيمة للأفاعي وفريسة للوحوش الضارية ، وأنتم يازبانية جهنم اسحبوه على وجهه الى الجحيم واقطعوا رأسه على خشبة العار ومزقوا جسمه كل ممزق وألقوه فى آتون النار »

التحنيط وانواعه

كان الناس فى العهد السابق عما قبل التاريخ يضعون موتاهم فى حفر صغيرة لحفظها من الفناء ووقايتها من التلاشى نظراً لحرارة الجو وجفاف الأرض ؛ ثم عولوا على إيداع الجثث فى أكياس ونحوها من الطين أو الجلد لتبقى فى حالة جيدة زمناً طويلا ؛ ويضعون بجانبها أوانى الغذاء والشراب ، وذوى



جثتان محنطتان يرجع عهدهما الى ماقبل الأسر الفرعونية ووجد بجانبهما فى القبر كمك كبير من الصمغ الصنوبرى

الشهرة والثروة منهم كانوا يضعون بجانب ما ذكر آلات الصيد والقنص والقتال دلالة على ما كان لهم من عظم الشأن فى حياتهم

ثم اخترع الكهنة بعد توالى العصور الوسائل الأولية لفن التحنيط بواسطة الصمغ الصنوبرى ؛ ليحفظ الجثة أزمانا طويلة على شكلها المعهود ؛ لتكون أليق فى اتصال الروح بها بعد انتقالها من العالم الأول إلى العالم الثانى

ثم تقدم فن التحنيط بقدر ما أرشدت اليه التجارب والاكتشافات العلمية ، ولكن الكتب الخاصة به فى ذلك العهد لم تكن كثيرة التداول قبل ما دونه عنها المؤرخ اليونانى هيرودوت الذى كان يستمر فى الاستقصاء والتحرى ؛ وجمع المعلومات عن التحنيط المصرى ؛ وتكلم عن الاحتفالات الدينية التى كانوا يجرونها لاتخاذه والمعاملات التجارية التى ساعدت على استحضار معداته

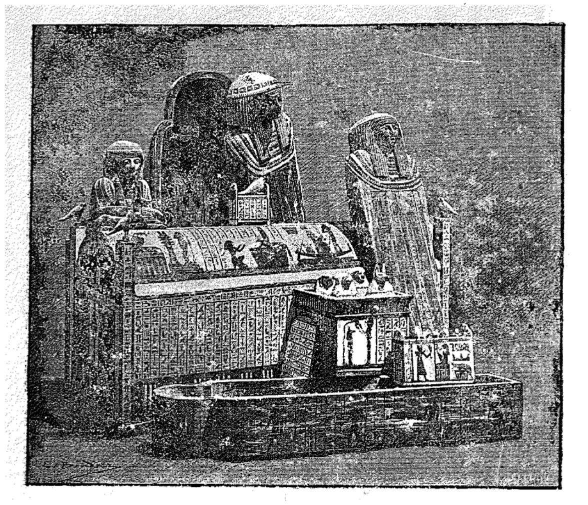
وكان لرئيس المحنطين تأثير خاص فلا ينتقى للاشتراك معه فى إجرائه إلا من يثق بهم من رجال الكهنوت الأتقياء ، ومن يأتمنهم من الجراحين والعملة وبعض أرباب الصنائع التى يستلزمها التحنيط طبقاً لأسراره وتعليماته واعداد اللفائف من غزل الكتان وغيره . وكان مساعدوه لا ينتخبون لهذه المهنة إلا بطريق التوارث مما يصلح فيهم لها طبقاً لتعليمات الفراعنة وعنايتهم الكلية بالتحنيط

وكانت الأمكنة المخصصة لأعمال التحنيط ترتب إلى أقسام الأول منها يباح دخوله للجميع وهى التى تشتمل على اعداد الأجزاء الصناعية المفردة فقط ؛ والثانى وهو القاعة الخاصة بدرس علم التشريح فنيا لا يدخلها غير الأستاذ وقت إلقاء الدروس .

والثالث مخصص لوضع الجثث المحنطة التى بعد انتهاء أعمالهـا تسلم لأقاربهم وأصدقائهم ؛ ويتبعون فى وضعها فى المقابر التعليمات التى تلقى إليهم بوثائق تشمل أصحاب الجثث، وملخص تاريخهم، والمرض المسبب للوفاة والمكان المصرح بالدفن فيه بعد أداء الرسوم التى تكون تقررت لنفقات التحنيط حسب الدرجة المتفق عليها ؛ فتوضع الجثة فى تابوت خشبي ويحلى بالنقوش ، وكان يكتب على غطاء كل تابوت ثمنه وبيان مشتملاته .
وقد قال يودور الصقلى ان ثمن التابوت من الدرجة الأولى كان مائة وستين جنيهاً، ومن الدرجة الثانية ستين جنيها ؛ ومن الدرجة الثالثة أربعة جنيهات تقريباً

وكانت من عادات النساء إذا توفى أحد أفراد العائلة تغطية وجوههن والطواف بالمدينة وعلى منازل الأصدقاء، مرسلة الشعور رافعات الأصوات بالندب والعويل إظهاراً للجزع والحزن؛ وليكون ذلك إخباراً عن وفاة الميت بين قومه وجيرانه . ولا زالت هذه العادة سارية فى بعض قرى الأقاليم إلى الآن رغما عن القول بأننا فى عصر المدنية وعن الادعاء بأن تطور العصور محا من النفوس أخلاق الجهالات الأولى . (المترجم)

وبعد هذه المظاهرة يحضر أقارب المتوفى ومن يشاطرهم فى الأحزان لأجله إلى معمل التحنيط ؛ ويختارون للجثة أحد النماذج حسب استطاعتهم المالية . وقد وصف هيردوت كيفية عمل التحنيط عند قدماء المصريين سنة ٤٥٠ ق م وهى على ثلاثة أنواع :

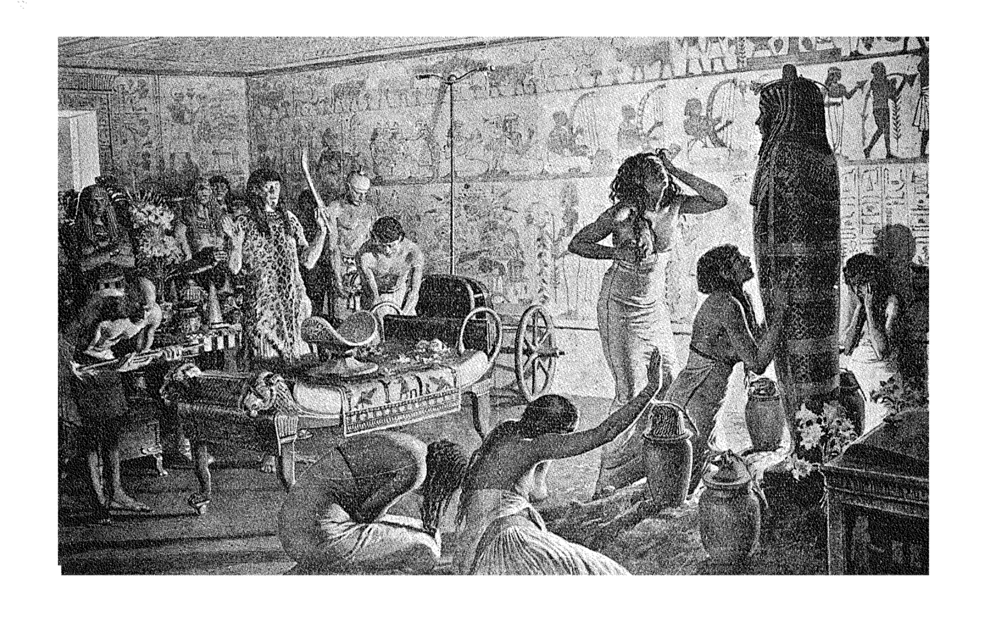


مجموعة نماذج توابيت جنازية من العصرين البيباسطى والصاوى بطيبة

النوع الأول

يبدأ المحنطون عملهم بكسر المصفاة وجزء من العظم الوتدى ؛ ويستخرجون المخ من الأنف باستعمال آلة حديدية معوجة ، ويملأون الجزء المجوف (مكان المخ) بالطيب والصمغ الصنوبر ، ويستعملون لهذا الغرض أداة خشبية وخنجراً من المعدن ومقراضا صغيراً .

ويبدأون تحنيط الجثة بوضعها على مائدة خشبية مستطيلة ؛ ويضع المحنط على الجانب الأيسر ماء يقدره بنسبة حالة الجثة ممزوجا بما يستدعيه العمل ، ويبدأ فى شقها من بداية الجنب إلى نهايته بقطعة حادة من الحجر



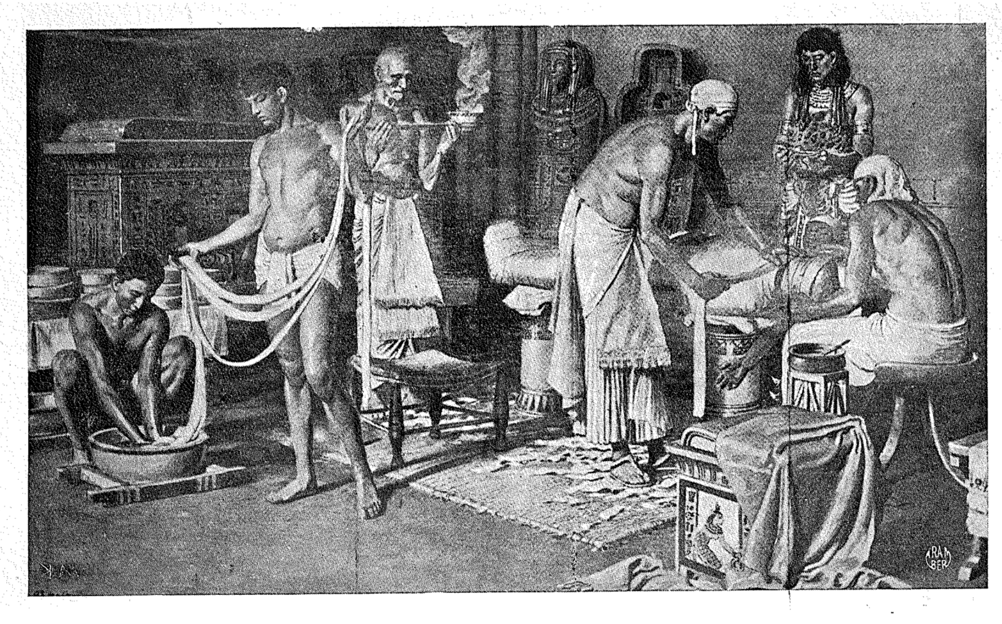
رسم جثة محنطة داخل نعشها وبقربها النساء تبكين وتندبن ، والرجال يضربون آلات شبيهة بالعود وأمامهم الراقصات

الذى كانوا يسمونه قديماً حجر اثيوبيا وعرفه علماء طبقات الارض باسم حصاة اثيوبيا .

ومتى أتم المحنط عملية الشق انتقل من مكانه مسرعا، ويتبعه الحاضرون ويرجمونه بالحجارة ويلعنونه، ثم يستخرجون الأحشاء بعدئذ وكل الاجزاء اللينة، ويبقون القلب والكلا فى مكانها، ويغسلون الجوف بنبيذ البلح الممزوج بكمية من المرّ والخيار الشنبر والطيب والأسفلت، ثم يخيطون الجلد ثانية ويغسلون الجثة، ويضعون فوقها كميات من الأملاح، ويغطونها بمسحوق النطرون مدة سبعين يوما . وبعد انتهاء هذه المدة يدهنون الجثة بزيت خشب الأرز والعطر، ويضعونها فى لفائف مصمغة بالصمغ العربى ويذهّبون غطاء الوجة ويرسمون فوقه صورته . وكانوا يعتنون فى أن تكون اللفائف العلوية محلاة برسوم ونقوش هير وغليفية بغاية الأبداع والاتقان . ثم يأتى أقارب المتوفى وينقلون الجثة فى صندوق خشبى مصنوع على شكل آدمى، ويوضع فى جانب قاعة مخصصة لهذا الغرض . وهذا النوع عندهم هو أهم أنواع التحنيط التى يقصدون منها المغالاة والزينة متى كانت الجثة جثة أحد العظماء والمشاهير الذين يرام بمظاهر التحنيط وفخامته الايماء الى ما كان له من علو المنزلة وعظم الشأن بين قومه :

النوع الثانى

ليس كل الناس يرغبون التغالى فى أعمال التحنيط على الوجه الذى سبقت الاشارة اليه ، بل كان أوساط الطبقات ومن فى حكمهم لايميلون الى الأحزان والبذخ يكتفون فى عملية التحنيط بما يقى الجثة



طريقة التحنيط عند قدماء المصريين

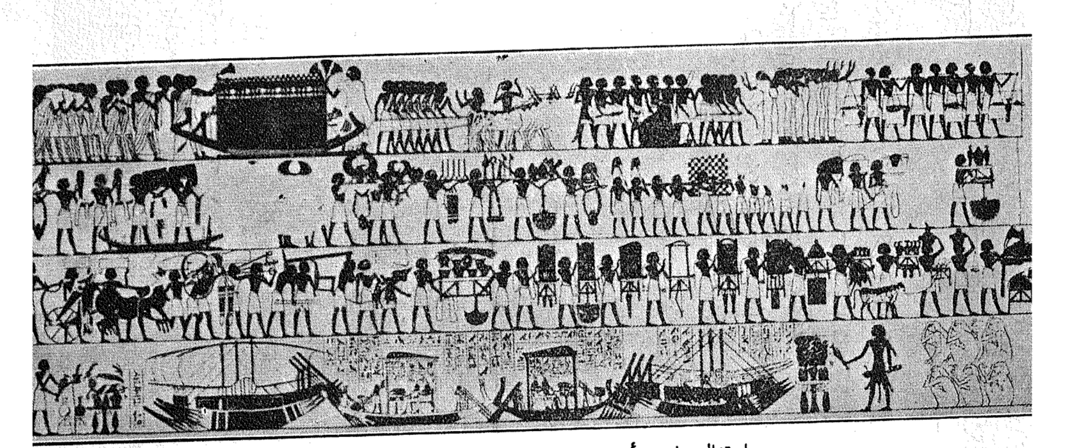
من التلف فيكتفون بحقنها بكميات من الدهن السائل المستخرج من خشب الأرز ،وتستعمل غالبا فى بطن الميت بدون شق الجسم وبدون إخراج شيء من الحوايا والأمعاء ، ويسدون منفذ الحقن منعاً لسقوط السائل،ثم يضعون الجثةمدة سبعين يوما فىمحلول قلوى،وبمضىّ هذهالمدة يستخرجون الجثة منه ويخرجون منها السائل الذى يجتذب معه الأحشاء الذائبة ، ويجففون العظام بمسحوق النطرون . وفى هذه الحالة لايكون باقيا من الجثة سوى العضلات والعظام والجلد ،وباتمام تجهيزها على هذه الطريقة توضع فى لفائف معقمة ويبقى جزء الوجه ، فيدهنونه بلون أحمر وتسلم بعد ذلك الى أسرة المتوفى لدفنها بالمكان المعد لامثالهم .

النوع الثالث

هو تحنيط الفقراء الذين لايستطيعون كثرة النفقات ،وهو ينحصر فى إيداع الجثة مدةسبعين يوماً فى محلول قلوى من النطرون ؛ وتستخرج منه بعد ذلك وتجعل فى لفائف بسيطة وتسلم لأهلها لدفنها .

ويوجد هناك نوع رابع للتحنيط أقل درجة من الثلاثة أنواع السابق ذكرها لم يتكلم عنه هيردوت ، وانما كان مستعملا عند قدماء المصريين بواسطة جعل جثث الفقراء فى لفائف ممزوجة بمركبات تقيها من التعفن والتلف زمناً محدوداً،ثم تدفن فى مكان رملى على عمق متر تقريباً، ووجدت جثث محنطة على هذه الحالة

وكانوا يجعلون الاحتفال بتشييع الجنائز للفقراء والأواسط على جانب من البساطة،أما الأغنياء فيقيمون لها الاحتفالات الفخمةويرسمون



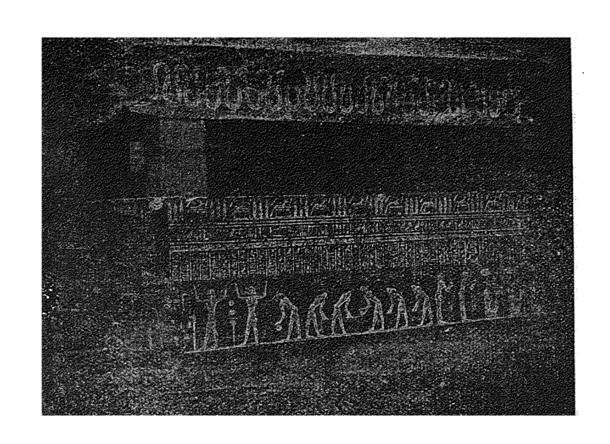
رسم احتفال جنازى مأخوذ من قبر الملك حورمحب بطيبة (الاسرة ١٨)

لجنائزهم مظاهر دالة على ما كان معتاداً فى أزمانهم من أنواع الحفاوة كالراقصات والنادبات والباكيات تذكرن أعمال موتاهم ومناقبهم المشرفة لسيرتهم وأوصافهم الحميدة ، ماشيات امام العربات الجنازية التى تجرها الثيران ، ويتبع هذه المواكب الأقارب والأصدقاء ، وينزلون أخيراً التابوت المهيء فى كهف على شكل مدفنة تكون أحيانا فى سقف المصطبة الموصلة الى المدفن الجنازى المحفور فى الصحراء ، وتوضع الجثة فى التابوت المخصص لها ، وعند الدفن يذبحون ثوراً رباعيا سمينا ويسدون فتحة الدهليز ويلقون الحجارة الضخمة وغيرها بجانبه ثم يقيمون الزخارف حوله كأثر تاريخى يتعظ برؤيته المترددون على هذه الأماكن فى الأيام المجعولة لزيارتها

ولكون المقابر غالبا تنشأ فى الجهة الغربية ، فلدى نقل الموتى اليها من أماكنهم بالجهات الشرقية ، كانوا ينقلون الجثث فى سفن مزينة محلاة بأنواع الزخارف والنباتات ويحيط بها عدد كبير من القوارب المملوءة بالقرابين والزهور والرياحين .

التوابيت

إعتاد قدماء المصريين إقامة التوابيت استبقاء لذكر موتاهم وتخليداً لمجد خلفائهم فى تكريم أسلافهم . فالنوع الأول منها كانوا يسمونه بالمراقد الأبدية ، والثانى لاستعماله جزءاً من الزمن حتى اذا مضت المدة الاحتمالية ، تنقل الجثث من مكانها الأول ، والثالث أقل زخرفة من النوعين الأولين مع صلاحيته للاستعمال فى كليهما ، فكانوا يصنعونه



واجهة تابوت تاخوس بن انخوفنسخمت



تابوت الملك أموزيس الاول وداخله جثته



تابوت الملك أمنوفيس الأول وداخله جثته

أحيانا من الحجر الجرانيت الوردى أو الحجر البسلت أو الخشب، ويجعلون على أغطيتها صورة المتوفى أو رسم جسمه الثانى أو وجه المعبودين إزيس وأزوريس، ويرسمون على جوانبها مناظر تُرى بها عاديات المتوفى من أكل وشرب، وتمثل جانبا من أعماله فى حياته كمراكب الصيد والنوتية والخدم القائمين بأعمالهم فى تجهيز الأطعمة والأغذية والملابس والجنود والرعاة، والفلاح ذاهبا الى الحقل يحمل الفأس على كتفه ويجر الزحافة على الأرض الزراعية وهكذا . . . .

وكانوا يجعلون للتوابيت الخشبية طلاءً لامعا من صمغ الصنوبر لم يتيسر للعلماء معرفة تركيبه ، ويرسمون صورة المتوفى مطابقة لهيكله فى حياته، ويجعلون فى نقوش التوابيت رسوما تنبىء بما فيها من تمائم وحلىّ وأشياء أخرى صغيرة. واكتشف العلماء ان من جملة هذه التمائم الجعل بأجنحته، وكانوا يعتقدون فى هذا الحيوان التجدد بذاته بعد التلاشى فاتخذوه كرمز للأبدية ، وصاروا يرسمونه فى ما يوضع مع الجثة المحنطة ليحل منها محل القلب الذى يذهب الى محكمة أزوريس ، ويعتقدون أن لهذه النقوش إرتباطا بالروح وقد جاء فى كتاب الموتى ان الميت يطلب إعادة قلبه اليه

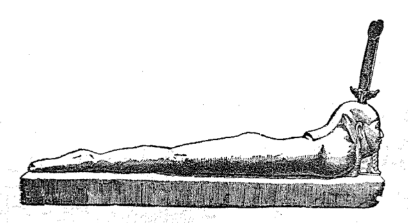
ومما اعتادوا وضعه مع التمائم لثام يدعى بلغتهم (تت) رمزاً الى دم إزيس ،وقد وصفته النصوص المصرية القديمة بانه يقى الميت من كل الشرور؛ ويخوّله الحق فى أن يتقرب الى أزوريس فى العالم الثانى ؛ واعتادوا أيضا وضع تمائم أخرى كعمود زهرة اللوطس



تابوت الملك تحوتمس الثانى من الاسرة الثامنة عشرة والأصل بالمتحف المصرى بالطبقة العليا



كبد جثة محنطة من الاسرة ٢١ وفيه تمثال صغير من الشمع لأمست



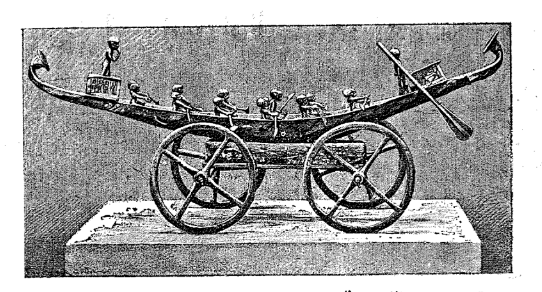
احترام القبور

كان احترامهم للقبور مؤسسا على عواطف وجدانية وعقائد راسخة، فلا يجوز لأحد ارتكاب أى شيء مغاير للخشوع والآداب قريبا منها، لانها جعلت للاتعاظ وتذكر الدار الآخرة، فلا يجوز انتهاك حرماتها الاعتيادية من أجل ذلك، كما لا يجوز مدنيا الاعتداء على شيء من نقوشها بالمحو أو التشويه أو على أى شيء من محتوياتها الثمينة بسرقة أو اغتصاب أو نقل جثة واستبدالها بغيرها أو محو أى اسم من الوارد فى هذه النقوش؛ لأن ذلك يعد اعتداء على كرامة واضعيها وانها كأدبيا للعظة الموضوعة لأجلها هذه الاشياء، فهى انما وضعت فى أماكنها كترجمان صامت ينطق فى مستقبل الأجيال عما قام به الأوائل فى عصورهم.

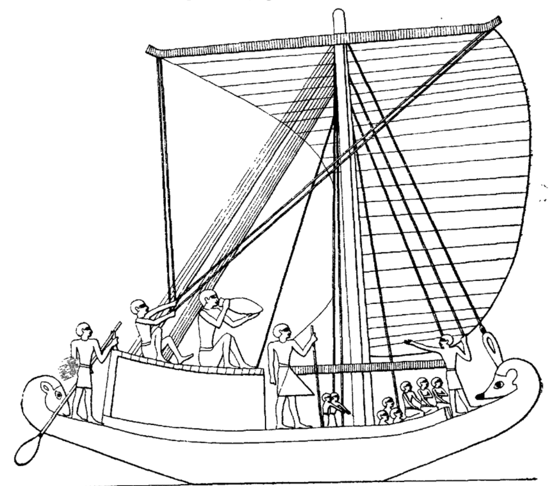
وكانوا يضعون فى قوانينهم العقوبات الشديدة على من يأتى أى عمل ينافى احترام القبور بأى ظرف كان، ويعدون المرتكب لهذه الجريمة بمثابة كافر جاحد يجب أن يغلظ عليه العقاب مهما كانت أدوار الوقت وظروف الحوادث، وفى النصوص المصرية تصريحات كبرى تحذيراً للناس عن إتيان الجرائم التى من هذ القبيل وقد جاء فى بعضها ما يأتى:

«أنتم أيها الرؤساء والكهنة والرجال الذين يأتون بعدى بآلاف من السنين، اذا شطب أحد اسمى أو وضع اسمه مكانه، فليلق عقاب الآله بأزالة صورته من وجه الارض، واذا محا أحد شيئا من الآثار المنقوشة فى مشاهدى فليعاقبه الرب كذلك أشد العقاب»

وهذه القواعد غرسها فى نفوسهم الاعتقاد بأن الروح (با) اذا



زورق صغير من الذهب للملك كاموزيس والاصل بالمتحف المصرى بالقاعة الذهبية بخزانة نمرة ١٠



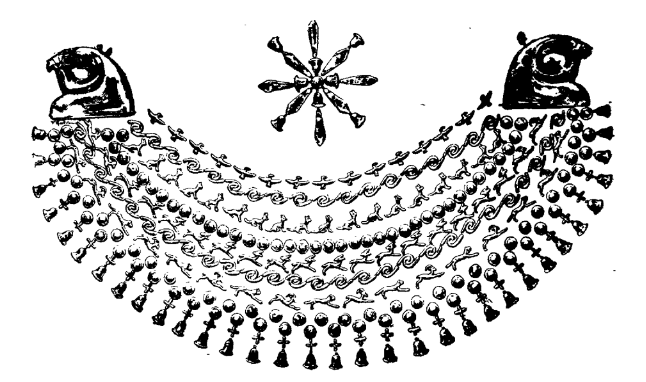
مركب شراعيـة متقنة الصنع لقدماء المصريين

حرمت من جسمها الثانى (كا) فانها تطرد من مسكن الآلهة وتذهب الى عالم الأحياء متشكلة بشبح أو شيطان ، وتنتقم من الرجل الكافر وذريته الى اليوم الذى يموت فيه للمرة الثانية ويكون فى أشد مايستحقه من الزجر والعقاب . ولايزال هذا الاعتقاد عند بعض أهل القرى النائية البسطاء الذين هشموا كل التماثيل الماثلة فى القبور التى لعبت بها أيدى الحوادث فى عصور ماضية ، فقد هشموا مابقى منها خوفا من أن تحل فيها الأرواح وتتعمد الأنتقام منهم

وقد عثر علماء الآثار فى بعض المقابر على آلات كثيرة مما كان يستعمل فى عملية التحنيط ، وكأنهم وضعوها فى بعض الجثث برهانا على براعتهم فى اختراعها ودقتهم فى أوجه استعمالها ليكون الأطلاع عليها حجة فوق حجة على سعة مواهبهم وتضلعهم فى الفنون الطبية وكافة العلوم حتى كانت لهم الشهرة الفائقة فيها

وصف التحنيط وتحليل الأجسام

كتب هيردوت وديودور الصقلى بعض معلومات عن التحنيط ، ولكن لم يصل الينا منها الا النذر القليل ، لان الكهنة وحدهم كانوا يحتكرون لأنفسهم معرفة أسرار التحنيط الذى به تحفظ الجثث ، ولم يبوحوا لأحد بتركيب الأجزاء والمواد التى كانوا يستعملونها لهذا الغرض . وغاية ما أمكن معرفته من أنواعها المر والخيار الشنبر وغيرهما من العقاقير الحافظة بمزجياتها لكثير من الأجسام ، ولكن كميات التركيب فى المزج



عقد الملكة محتبو الأولى والاصل بالمتحف المصرى بالقاعة الذهبية



حلية صدرية للملك سنوسرت الثالث والاصل
بالمتحف المصرى بالقاعة الذهبية

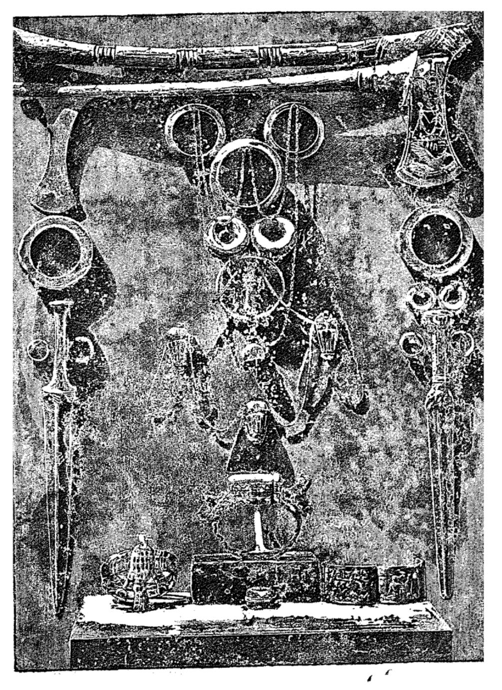
لها بالمواد الأخرى ولم يستطع المكتشفون معرفتها بالتحديد ؛ خصوصا المركبات لبعض الاجسام الصمغية وتمييزها عن غيرها من المركبات والمواد الدهنية الكثيرة الاستعمال ؛ وبفضل التحليلات الكيماوية فى الطرق الحديثة استطاع الباحثون الوقوف على شىء من هذه المواد

وامتناع الكهنة عن تلقين غيرهم أسرار التحنيط ناشىء عن بخلهم بالعلوم وأسرارها على غير أهلها ، وحرصا على استئثارهم بالارباح الوافرة والأموال الطائلة التى كانوا يحصلون عليها بواسطة احتكارهم لهذه الاعمال؛ حتى أن بعض الأسرار الفنية التى كانت فى معبد المعبود آمون لم يكن يعلمها فى عهدهم إلا أفراد قلائل من مشاهير علمائهم فى ذلك الوقت

فاذا استطاع الباحثون معرفة شىء عن تاريخ الجثث المحنطة بعد أربعة آلاف سنة؛ فهم لم يصلوا الى معرفة الحقيقة عن التراكيب التى حفظت هذه الجثث تلك السنين، فكأن علوم التحنيط زالت بزوال أربابها الذين ضنوا بها على بنى الانسان، ولم تعطفهم الرحمة العلمية على أسلافهم بتدوين هذه المعلومات لتكون لهم أثراً مجيداً عوضا من تألم الأجيال بزوالها بعد عصورهم الزاهرة

ومن الباحثين من قال إن التحنيط يرجع عهده الى ستة الاف سنة تقريبا وسنذكر فيما يأتى بعض ما أمكن العثور عليه من المباحث فى طرائق استعماله للجثث والمحنطات الأخرى التى وجدت فى التوابيت .





مجموعة حلى للملكة عحتبو الأولى والأصل بالمتحف المصرى بالقاعة الذهبية

وصف للجثث المحنطة ومحتويات التوابيت

أوضح الباحثون فى مؤلفاتهم أنهم اذا فتحوا تابوتا يجدون به وجها مستعاراً وكفنا يستر الجثة المحنطة من الرأس الى القدمين . فان كانت الجثة امرأة وجدوا مرسوما بها رأس المعبودة إزيس، وان كانت رجلا وجدوا رسم رأس المعبود ازوريس، والجثث المحنطة ملفوفة فى لفائف ذات نقوش هيروغليفية ورسوم مختلفة ومعها جعل وغيره رمزاً للبقاء، وعقود وجواهر وأوراق بردية تنبىء بتاريخ المتوفى وأسماء المذكورين من أقاربه وأبنائه وأعماله الصالحة فى حياته وبعض آيات من كتاب الموتى اعتادوا تدوينها لابعاد الأرواح الخبيثة التى يعتقدون انها تتبع الروح فى العالم الثانى؛ وتجد عصيا وألواحا من العاج والعظم والخشب رسموا على أحد وجهيها أعينا وآذانا وأصابع؛ فالعين لتقوى نظر الروح؛ والآذان لتقوى سمعها فى اجابة الآلهة، والاصبع لتقوى لمسها ، وباطن القدمين ليساعد الروح فى السير ويقودها الى السراط المستقيم والى مقر النعيم

بحث الاستاذ تزرمان (Czermann) سنة ١٨٥١ جثة محنطة محفوظة الآن فى متحف براج ، فوجد فى أحشائها حرزاً يحتوى الطبقة الظاهرة من باطن قدمى الجثة ؛ وعرفها بواسطة الآلات المكروسكوبية. ورأى قدمى الجثة رفعت عنهما الطبقة الجلدية ، فعرف أن قدماء المحنطين كانوا على الاعتقاد بأنه لا يجوز ترك الاجزاء التى تلوثت بالمعاصى فى الحياة الدنيا تستمر على أعضاء الحركة عند عودة الحياة الى الأجسام فى العالم الثانى ، لتكون الأعضاء حال تحركها اليه خالية من الأجزاء الغير الطاهرة

التى تلوثت بخطيئات ابن آدم؛ وان المحنطين أرادوا بايداع هذه الاجزاء الجلدية في الحرز الذى وجده اثبات امانتهم الفنية فى كل ما كان تحت أيديهم من الأجسام وقت التحنيط .

ونجد فى التوابيت تمائم كثيرة صنعت من خشب الجميز والمعادن الثمينة موضوعة بين اللفائف عليها صور وأشكال الجعالين وغيرها،وصور المعبود فتاح وغيره لاعتقادهم أنها تفتح أبواب الأبدية للروح كما نص عليه كتاب الموتى رقم ٥٥

ووجد المكتشفون أيضا فى التوابيت أشياء مما كان يشتهر الموتى فى حياتهم باحرازها كالآلات الجراحية للأطباء ،والكتب الدينية للكهنة وا كياس الحبوب للزراع وأدوات الزينة للسيدات وألعابا متنوعة للأطفال وتماثيل وصور تمثل الآلهة بناء على اعتقادهم بان إيداعها مع تلك الجثث تؤنس الأرواح ويقويها على الملذات والنعيم بعد انتقالها الى العالم الثانى

وقال الدكتور فرنى (Verneuil) يوجد نوعان من الجثث المحنطة أحدها قوى صلب يصعب كسره مملؤ من الداخل ومتشرب من الخارج بيلسم بلاد اليهودية وممتزج بأجسام مصمغة ؛ والنوع الثانى مجفف وقلوى كأنه منقوع فى محلول النطرون؛ويقول الدكتور المذكور انه لا يوافق على رأى هيردوت فى الطريقة التى وصفها لاخراج الأمعاء من الأحشاء بواسطة الشق؛اذ لم ير بين الجثث المحنطة آثار جروح ظاهرة فى الجنب، وهذا مما يؤكد اخراجها من باب البدن فلا بد أن يكون اخراجها من البطن بواسطة الوسائل المحللة كما هو الحال فى مجموعة الدماغ

وقال الدكتور دلاتر (Delattre) انه لاحظ عنـد فحص الجثث المحنطة عمليات التحنيط الثلاثة التى ذكرها هيردوت وقد عثر الدكتور (Fouquet) على ورقة بردية معروفة بورقة رند (Rhind) تؤيد قول هيردوت وهذه ترجمتها «لتخرج أيها الميت من هذا المكان فرحا مسرورا، فقد عملت لك ثمانية فتحات فى خلال ستة وثلاثين يوما . ولتخرج طاهراً فقد عملت لك ماهو منصوص فى بحيرة خنسوالـكبيرة، فلتحضر فى قاعة تكسانتاه - Txesant مكانك، وهناك عمل لك أيضا تسع فتحات ليتم لك السبعة عشرة فتحة فى خلال السبعين يوماً بسبب السبعة عشرة عضو، وهى سـبعة فتحات فى الرأس وأربعة فى الصـدر واثنتان فى الذراعين وواحدة فى البطن وواحدة فى الظهر . جميعها سـبعة عشر فتحة فى خلال السبعين يوما »

وقال الدكتور فوكيه المذكوران جثث الدير البحرى المحنطة تشبه كثيرا ماذكر فى هذا النص، ونعرف من فحصها فائدة هذه الفتحات ان جثة أحد الـكهنة للمعبود آمون التى لم توضع عليها اللفائف والطبقات من القار ، ترى سـاقيها ممتدين بموزاة بعضهما والذراعين ممتدين أيضـا حول الجسم وان جلد الجثة نظيف وناعم ومحلوق ماعـدا شـعر الذقن والحواجب والأهداب، وان الفم ومنخرى الأنف والاذنين والعينين مغطاة بطبقة من الشمع النقى وعليها مسحوق الصمغ الصنوبر والاسنان مختفية فى الفم والشفتان مدهونتان باللون الأحمر ثم تغير الى لون الدكنة على ممر الزمان . وتوجد تحت الجفون المقفلة قليلا قطع من القماش، وترى من الأنف المسدودة طريقا به خطاف حاد بالمصـفاة يمكن من اخراج المواد من

الدماغ حسب عاداتهم ،وان جرح الجنب الأيسر مغطى فى الغالب بعين من الشمع وتدعى باللغة المصريه القديمة(اوازيت)

وقال لوكاس فى كتابه عن التحنيط ان البداية التاريخية لهذا العلم مجهولة وربما كانت ترجع الى سنة ٢٧٠٠ ق . م. كما تدل عليه الجثة المحنطة المحفوظة الآن بمدرسة الطب الملكية فى لندره التى يرجع تاريخها الى الأسرة الخامسة من الدولة القديمة . ونقرأ ايضا فى سفر التكوين الفصل الخمسين فى الأعداد من ٢ الى ٢٦ ان جثتى يعقوب ويوسف حنطتا بمصر .وقد عثروا أيضا على جثث مجففة طبيعيا يرجع تاريخها الى ٣٣٠٠ سنة ق . م . وجدت فى قبور رملية محفورة فتجففت الجثث بحرارة الجو .

وفى التوراة وفيما كتبه هيردوت وديودور الصقلى شىء كثير عن هذه الجثث المحنطة ،وقد طاف هيردوت سنة ٤٥٠ ق . م وديودور الصقلى سنة ٤٩ ق . م أعظم المدن والقرى المصرية ودرسا فى ابحاثهما عادات وأخلاق قدماء المصرين وكانت مطابقة فى النتيجة لما قدمناه عن أساليب التحنيط وأنواعه .

وذكر لوكاس فى كتابه المذكور (صحيفة ٥ ومابعدها) نتائج تحليلاته الخاصة بالنطرون الذى وصفه القدماء واستعملوه للتحنيط . ومما يلاحظ فى هذا البحث قوله «يحتوى هذا الملح الصناعى المركب على كربونات السوديوم وبيكربونات السوديوم وكلورير السوديوم وسلفات السوديوم والماء ومسحوقات اجزاء أخرى لاتقبل الاذابة بالماء وتختلف نسبتها فى التركيب بدرجة العناية التى يرام تحنيط الجثة بها .

واختلفت أراء العلماء فى طريقة استعمال النطرون وفائدته.وقدأ كد

لرتيت (Lartet) وجاليارد (Gaillard) ان القدماء كانوا يغمسون الأجسام والنسيج التى تجعل لفائف الأجسام فى حمامات النطرون الصمغى السائل منعا للتعفن ، وبعض اولئك العلماء الباحثين يوافق على انغماس الأجسام فى محلول النطرون كرأى لورتيت وجاليارد ولكنه يخالفهما فى انغماس اللفائف والملابس بهذا المحلول ويؤيد نظريته بما يأتى :

(١) ان ثيابا كثيرة حفظت زمناطويلا ولا يمكنها أن تتحمل قلاوة النطرون

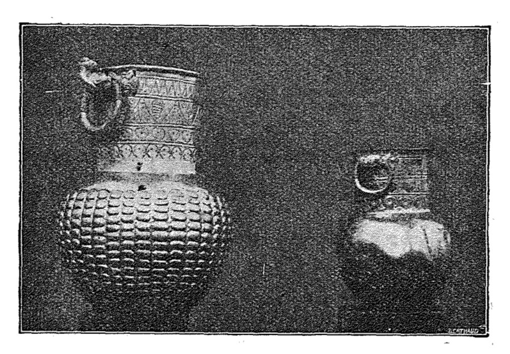
(٢) انه لوكان كذلك لكانت حموضة الأنسجة أحدثت تغييرات قلوية

وذكر العالم الأثرى ماسبرو فى كتابه الذى عنوانه الأعمال الخاصة باللغتين المصرية القديمة والاشورية وآثارها « ان التركيب المجهز من الميعة السائلة مطابق للنصوص المنقوشة على جدران معبد ادفو وأوضح بعد فحصه وتحليلاته وكل خاصياته الاثرية انه مركب مما يأتى :

جزء	جرام	
٥٧٥	٠	من عصير الخروب
٠١	١	« بخور يابس من النوع الجيد
	٦٠٠	« قشرة الميعة (Styrax) من النوع الجيد
	٢٥	« قلم عطرى
	١٠	« الأسفلت
	١٠	« المصطكى
	١٥	« حبوب البنفسج
٥	٠	« النبيذ
٠	٠	« الماء

قال ماسبرو بعد مادرس التراكيب المستعملة فى التحنيط ان أعظم العقاقير المستعملة فى تحنيط الموتى مركبة من الأسفات وقار بلاد يهوذا، وكانوا يملأون به جثة الانسان أو الحيوان المحنط وعبر عنه علماء البحث الأثريين السابقين عن عصره بأنه صمغ الصنوبر، وكان هذا الاسفلت يستحضر من البلاد اليهودية وبابل كما ذكره ديودور الصقلى وسترابون ودسكوريد وهيردوت ، وأحيانا كانوا يجدونه على شواطىء بحيرة الأسفلتية

وكانت تجارته رائجة فى تلك الأزمان فيرسله التجار فى بلاد الشام فى شواطىء بلاد فنيقيا وبلاد مصر بواسطة القوافل لاستعماله فى التحنيط ، ثم شاع استعمال أنواع منه فى اصطناع السفن النيلية



أنيتان من الذهب من الكنز الذى عثر عليه بالزقازيق . والاصل بالمتحف المصرى بالقاعة الذهبية

التحنيط في العصور الاولى واسبابه

هذا البحث ينحصر فى تدوين ما أمكن تلخيصه عن التحنيط فى العصور الغابرة من الوجهة التاريخية والجغرافية والأثرية والطرق التى ساعدت على بعض أسرارها الغامضة ، وصرف فيها علماء المباحث أوقاتا ثمينة حتى دونوا مااستطاعوا معرفته ، ووصلت الينا مقتبساتهم دانية القطوف سهلة التناول .

ان الجثث المكتشفة فى القبور والهياكل والاهرامات ونحوها ، تنبئنا عما كان لتلك الشعوب من قوة العزم وشدة الصبر والتجشم لعظائم المشاق فى نقل الاثقال والاتقان الفنى المحبوب عندهم ، وتنبئنا أيضا باحترام عواطفهم لمن عاشروهم فى أوقات السعادة والهناء وأزمان الشدائد والمصاعب ولم ينفق قدماء المصريين نفائس الأموال وثمين الأوقات ، ويضحوا كثيراً من الأرواح فى تشييد تلك المبانى لعظماء موتاهم ، الا لمعنى يهون عليهم كل تلك النفقات وتجشم تلك المشقات . وفى ضمن هذه المعانى تنفيذ وصايا الدين فى احترام العائلات المالكة وتخليد الذكر العاطر لمن كانوا عادلين فى شعوبهم ، وتولدت هذه الفكرة فكرة الآثار تخليداً لذكرى من مرت الاشارة اليهم عند قدماء المصريين . واقتدى بهم فيها القرطاجيون والصامويون والجانشيون وهنود أميركا الوسطى ، لاسيما عند أهالى اقليم الانكاس ، وكانوا يتحدون فى عقيدتهم مع المصريين من أن تحنيط الجثث والعناية بها فى المقابر يساعد الروح بعد الموت على الحلول فى جثتها محفوظة من كل فناء ، فتستطيع بالمحافظة على هيكلها الأول القيام

بما تقتضيه عودتها الى الحياة الثانية، لتكون مصحوبة دائما بالافراح والسعادة واقتدى بهم فى التحنيط الوقتى بعد أجيال اليونان والرومان

قال كاسيان إن قدماء المصريين لجأوا الى التحنيط لانهم فى أشهر فيضان النيل لم يكونوا يستطيعون نقل الجثث الى الجهات المعدة للدفن؛ فاتبعوا طريقة التحنيط لحفظ الجثث من التعفن؛ وبعد مضى أشهر الفيضان ينقلونها الى مقابرهم؛ وفى هذا منتهى العناية لحفظ الجثث من التعفن والاحتياط فى وقاية صحة الاحياء

وقال هيردوت إن الاعتياد على التحنيط منشؤه الاحتياط فى حفظ الجثث من انتهاش الوحوش

وقال ديودور الصقلى أن قدماء المصريين اتخذوا التحنيط فى جملة الشعائر الدينية احتراما لموتاهم .

وقال دى مايبه (De Maillet) فى خطابه العاشر ان قدماء المصريين اتخذوا التحنيط بمقتضى عقائد دينية وبمقتضى اعتقاد الأقدمين منهم بانه بعد مضى ثلاثة أو أربعة الآف سنة ستقوم ثورة عامة فى العالم ؛ وترجع الأرواح الى أجسادها للحياة الثانية فى الأبدية الآخرة، فأرادوا بالتحنيط حفظ هيكل الأنسان ليكون صالحا الى عودة الروح فيه كما كان فى نشأته الاولى

وقال فولنى وباريسو (Volney et Parisot) ان من البواعث على التحنيط الأحتياط لمنع انتشار الامراض المعدية والطاعون التى تنشأ غالبا من تعفن الجثث فتنتقل فى تموجات الهواء الفاسد وتسرى جراثيمها الى الاصحاء فتضر بالمجتمع الأنسانى من حيث لا يشعر

والأقرب الى التعويل عليه من كل هذه الآراء ويطمئن اليه العقل هو أن التحنيط من لوازم العقائد الدينية التي فى سبيلها ألفوا هذه المشاق وتكبدوا أخطارها بارتياح قلبيّ وانبعاث دائم، فتعمق الكهنة فى مباحثهم حتى توصلوا الى إحكام أعمالهم واتقانها وساعدهم جفاف الجو ويبوسة الأرض والرمال فى تجفيف الجثث المعرضة للهواء التى لم يستطع ذووها دفنها فى الهياكل الشامخة والمبانى الضخمة

كل من يفد الى الأقطار المصرية بقصد السياحة واجتياز الصحارى والقفار لمعاينة الآثار، يندهش عند ما يرى جثثاً بشرية وحيوانية حفظها التحنيط على حالة جيدة بعد دفنها فى الرمال ومرور الآن الأجيال عليها

وكأن الكهنة أرادوا تهيئة الأرواح عند عودها الى الأشباح فى دور الحياة الثانية بما اخترعوه من أنواع الزينة والزخارف فوق التوابيت والمقابر، حتى اذا آن الوقت واقتربت الأرواح من معالم الجثث تُسر بمرأى هذه الزخارف، فتعود الى الأجسام ممتلئة سروراً ويزيد فى انشراحها أن ترى تلك الجثث على ما كان لها من بهاء الرونق وجلال العظمة .

وقد استعمل قدماء المصريين احتياطاً فى بقاء التحنيط سليماً لا يعتريه التلاشي ولا الانحلال بالطريقتين اللتين دلت عليهما الاكتشافات العلمية

(١) تجفيف الجثة بعد افراز السوائل واخراج المواد الدهنية بواسطة مركبات النطرون ومسحوقه والمحلولات المعتادة لانغماسها فيها على سبيل التطهير قبل التحنيط وبعده

(٢) وضع الجثة فى لفائف ممزوجة بالمواد العطرية لتكوّن حرزاً صناعياً بتماسكها يمنع وصول الهواء والحشرات ، وهم بهذا الابداع توصلوا

منذ ستة آلاف سنة الى طرق علمية تؤيدها كل الاحتياطات الصحية فى نظريات العالم الحديث، وان عجزت مداركنا عن الاحاطة الكلية بباقى معلوماتهم فى فن التحنيط

التحنيط عند اهل قرطاجة

كانت مدينة قرطاجة عاصمة لمملكة الفنيقيين الذين خلد لهم التاريخ أدواراً باهرة ، وكانت لتلك البلاد صلات تجارية مع مصر ، وبهذه الواسطة نقلوا عنها أحاسن المدنية وبعض العقائد الدينية حتى اتخذوا لهم فى بلادهم آلهة يعبدونها بأسماء انتحلوها عن أسماء الآلهة المصرية

ومما نقلوه بهذه الوسائل مسائل التحنيط والنقوش والرسوم على توابيت ومقابر الموتى لذات الأسباب المألوفة عند المصريين ونقلها أهالى قرطاجة عنهم كعقيدة ثابتة فى نفسيتهم، فاتخذوا نحت المقابر فى الصحراء على نمط ما شيّد المصريون، وانشأوا حولها أماكن أعدوها لجلوس الزائرين وتأدية الصلاة وتقديم القربان حتى جعلوا نقوش المقابر والتوابيت بذات اللغة المصرية القديمة وأدعية معبوداتهم

التحنيط عند اهالى الجانش الكنارى

كان لمصر فى عهد (نخاو) من الأسرة السادسة والعشرين أسطول يجوب البحار ويتجول بين الأقطار لتبادل المعاملات التجارية التى كانت لمصر

فيها النهضة الأولى، وكان يكثر من التجول فى سواحل البحر الاحمر حتى وصل فى بعض أسفاره الى رأس الرجاء الصالح ،وهناك صعد الشاطىء الافريقى الغربى ومر بيوغاز جبل طارق،وعاد لمصر بطريق البحر الابيض المتوسط ،وفى خلال ذلك مر بالجزائر الكنارية التى كانت للمراكب التجارية مواصلات بها .

وقد وجه هذا الأسطول عناية لاكتشاف ماعليه أهالى الجانش من الوسائل العمرانية، وكانت جزائرهم فى ذاك العهد تسكنها شعوب بربرية أنهكها الفقر والخمول، ولكنهم وجدوا عندهم بعض الجثث محنطة ويضعونها فى أوانى خاصة بالتحنيط مدة خمسة عشر يوما فقط ، ثم تدفن بالطرق البسيطة، واستدلوا من ذلك على وجود التحنيط فى هذه الأقاليم من عهد بعيد ، ولكنه لم يصل الى الدقة والبراعة التى وصل اليها فى البلاد المصرية.

وقال الدكتور برسيلى (Parcelly) ان ذلك الشعب كان يستعمل التحنيط احتراماً للموتى، ويعتنى بتحنيط كل جثث أهلها ان استطاعوا وإلاّ فأصدقاؤها وجيرانها الذين كانوا يعطفون على بعضهم عطفاً فطرياً ناشئاً عن رقة الشعور وسلامة العواطف . وقال المسيو بورى دى سنت فينسانت (Bory de St - Vincent) إنهم كانوا يحافظون على الجثث بوضعها فى لفائف من جلود المعز بعد اتخاذ وسائل التطهير والتحنيط بطريقة تقيها من الفناء وقتاً من الزمن

وكان المحنطون عندهم طبقة مبتذلة تعيش منزوية عن الأنظار لاتخالط الناس إلا وقت استدعائها لهذه الحاجة

وقال الدكتور برسيلى ان الفرق بين طرق التحنيط عند أهالى

الجانش والمصريين،ان المصريين كانوا يجعلون لموتاهم لفائف خاصة لكل جثة ولكل ميت قبر منفرد؛أما الجانش فيضعون موتاهم فى جلود ويجعلون القبر الواحد شاملا لكثير من الموتى

التحنيط عند الصامويين (Samoens)

قال الدكتور بيرزن (Burzen) ان الصامويين كانوا يعتنون بتحنيط موتاهم ويحافظون على آثارهم،وكانت النساء تكلف بعمليات التحنيط فيباشرن عمل الفتحات فى الجثة واستخراج المعدة والاحشاء والامعاء، ويكتفين بوضع الجثة مدة شهرين فى حوض ممتلىء بزيت جوز الهند ممتزج بعصير نباتى ،وتملأ فتحات الجسم والتجاويف بقطع من القماش منقوعة بمزيج من زيت نباتى ومركبات أخرى، وتلف الجثث بهذه القطع ماعدا الرأس واليدين ولاتعلم كيفية معرفة هؤلاء القوم لعملية التحنيط؛ وغاية ما يمكن القول به أنهم اقتبسوه من بعض المترددين على الأقاليم المصرية واقتدوا بقدماء المصريين فى العناية به احتراماً لموتاهم ولتكون أجسامهم صالحة لحلول الارواح فيها عند الحياة الثانية المملوءة بها اعتقاداتهم جميعاً

التحنيط عند السيتيين (Seyttes)

أثبت المؤرخون أن السيتيين كانوا يخصصون أقليم كربيلا (Kerbela) لدفن الموتى . ولكون الوصول اليها من مدنهم والقرى التابعة اليها يحتاج

لتمضية مدة طويلة فى الاسفار ، فمحافظة على الجثث من التعفن كانوا يستعملون لمنعه ولوقايتها تحنيطاً اعتيادياً ،ويستعملون فيه مركبات الزعفران ومايناسبها من وسائل الوقاية للجسم مؤقتاً حتى يصل كل فريق بموتاهم أياما محدودة من الشهور تسهيلا عليهم فى مشاق الانتقال وتخفيفاً لمشاق التحنيط ونفقاته ، فهم كانوا يستعملونه قياماً بالواجب لحفظ صحة الأحياء بدون أن يكون الباعث له الاعتقادات الدينية المأثورة عن قدماء المصريين .

التحنيط عند اهالى بورنيو والصين

قال نيوهوف (Neuhof) ان التحنيط فى أسيا كان متبعا، وانما لكل اقليم فى ترتيباته ومستحضراته الفنية اصطلاحات تطابق اجتهادهم فى طرائقه . ففى بلاد بورنيو وبلاد الصين كانوا يستعملون الكافور وخشب الصندل،والبلاد الأخرى كانوا يستعملون كافوربر نيووجوز فوفل(نبات) وخشب الصبر والمسك .

التحنيط في العالم الحديث

لاسيما عند الأنكاس (Ancas)

عثر الباحثون على جثث محنطة فى أمريكا وبلاد الانكاس وجهات اخرى كانت ملكا خاصاً للقبائل الهندية، واستمرت فى قبضتهم زمناً

طويلا . ووجود التحنيط بها دليل على أنها كانت على درجة من المدنية والعرفان قبل وصول الافرنج اليها وتسميتها بالعالم الجديد

ولم يكن التحنيط عاما لكل أفراد الشعب، بل خصوا به الملوك والرؤساء فى قبائل فرجيني (Verginie) الهندية وكارولين الشمالية وهنود الجانب الشمالى الغربى لامريكا الجنوبية وسكان الفلوريد .

وكانت عادة أهالى الفلوريد تجفيف الجثث على النار ووضعها على لفائف ثمينة ويضعونها كمشكاة فى المغارات،ويعدون بجانبها الأماكن الخاصة لجلوس من يترددون عليها فى أيام الزيارات السنوية

وقال الدكتور رفردى (Reverdy) ان قبائل فرجيني كانت تبدأ فى تحنيط الجثث بشق جلد المتوفى من الرأس الى القدمين ويبعدون الأمعاء والأحشاء وكل الاعضاء اللينة ويدهنون الجلد بزيوت ممزوجة بتركيب تمنعه من الجفاف والتلف مدة تجفيف الجثة .ومتى تجففت تملأ بالرمل الرفيع وتخاط بعناية تامة ويجعل الجلد كغلاف لها وفوقه الجلود الأخرى ولفائف على سبيل الوقاية مثل الحصر ونحوها،وتدفن فى حفر عميقة معدّة لذلك لمسافات بعيدة عن المدن والمساكن

وبينما كانت القبائل المذكورة تخص بالتحنيط فريق الملوك والعظماء والرؤساء كان الأنكاس وحدهم يحنطون شعبهم جميعاً بدون استثناء ، لانهم كانوا اكثر مدنية من بقية الشعوب الامريكانية الاخرى ، فقد اشتهروا بصناعاتهم الدقيقة وبراعتهم فى العلوم والفنون وبلغ شعبهم فى الأزمنة الأولى أربعة عشر مليونا ، ويقيمون الآن فى بلاد بيرو (Perou) وبوليفى (Bolivie) وبعضهم فى جهات شيلى وجمهورية الارجنتين

وكان اعتقادهم أن الأرواح بعد مفارقة الأشباح تعود اليها بعد زمن طويل فتكون لها هذه الأجسام مأوى حديثا تتطور فيه بحسب أحوال حياتها الأخروية ، وبهذا يستدل على أنهم كانوا يعتنون بالتحنيط بصفته وسيلة للتكريم الديني .

وكانوا يضعون الجثث المحنطة فى قبر تحت الأرض، ويقيمون فوقه هرما بارتفاع ثلاثين قدما ، وكل قبر يدفن فيه اثنى عشر شخصاً . وبين كل جثة واخرى اعواد من الذرة، ويميزون الرجال بوضع آلات الصيد ومقلاع ونحوه ، والنساء بأبر للخياطة وكرات الصوف وادوات مماثلة لها .

ومتى تم العدد المقرر لكل قبر سدوا بابه وأقاموا فوقه نافذة مفتوحة ليطل منها زائروهم ، وليطلع المارون على الالواح المبينة بها أسماء الموتى وتواريخهم ليتعظ الزائر برؤيتهم فى رقود السكينة البرزخية ، ولا ريب فى ذلك فان الموت من أعظم المواعظ المهدئة للنفوس، فيقتبس الزائر من زيارته تأديبا لنفسه وتعويدها على احتمال مشاق الحياة التى تهون عظائمها امام مصيبة الموت .

التحنيط الوقتى

ثابت أن بعض المألوفات عند الشعوب الشهيرة يحفظها عنهم من بعدهم ويتوارثها الأجيال بالتقليد، وهكذا سنة التكوين والعمران بين بنى آدم يتلقى السلف عن الخلف بعض مايستحسنه من عاداتهم ومألوفاتهم حتى تصبح التقليدات الغريبة من غرائز النفوس

وقلما يستطاع الأقلاع عنها . ومن هذا القبيل التحنيط الوقتى الذى بقى متبعاً الى الآن أخذاً عن التحنيط فى العصور الأولى

فان كثيراً من البلاد الغربية اعتادت على ابقاء جثث من يتوفون من عظماء الملوك والرؤساء والأمراء بضعة أيام مكشوفة الرأس واليدين ليراها من يفدون من الاقاليم والممالك للمشاركة فى الحفلات الجنازية ؛ وخوفا من تعفن هذه الجثث وانتشار المكروبات المعدية يتخذون الأحتياط الوقتى، وقد برع فى استعماله مشاهير اليهود واليونان والرومان فى عصورهم

التحنيط عند اليهود

أقام اليهود فى مصر قرونا كثيرة متمسكين بعوائدهم متباعدين عن أى تقليد للعوائد المصرية البحتة فى ذلك العهد . ومع اصرارهم على اجتناب التقليد بغيرهم استعملوا التحنيط بعد نفيهم لرجالهم العظماء .

وقد ذُكر فى التوراة أن يوسف حنط جثة أبيه يعقوب (سفر التكوين الأصحاح ٥٢) « وأمر يوسف عبيده الأطباء أن يحنطوا أباه فحنطه الأطباء، وكمل له أربعون يوماً لأنه هكذا تكمل أيام المحنطين » « وبعد سبعين يوماً من وفاة يعقوب نقله ابنه يوسف الى أرض كنعان فى مغارة حقل المكفيلة التى اشتراها ابراهيم لعملها مدفناً له ولزوجته سارة . فصعد يوسف ليدفن أباه وصعد معه جميع عبيد فرعون شيوخ بيته وجميع شيوخ أرض مصر ، وصعد معه مركبات وفرسان . ثم مات يوسف نفسه وهو ابن مائة وعشر سنين فحنطه المصريون ووضع فى تابوت

فى مصر (سفر التكوين ٥٠ ـ ٥١)

أحاط سليمان مدفن يعقوب بسور معروف اليوم بحرم الخليل وقد حافظ عليه الأسلام و بنوا عليه جامع مدينة حبرون (Hebron)

ولما استوطن الأسرائيليون فى جهات بحر الأردن لم يحتفظوا بعادة التحنيط الدائم وا كتفوا بالتحنيط الوقتى الموصوف فى سفر التكوين وغيره من التوراة

وطريقة استعمالهم له هى أنه متى مات أحدهم يقبله أحد أهله الموجودين حوله ويغمض جفونه وفمه ويقصون شعره وذقنه ويضعونه على لوحة من الخشب، ويجعلون قدميه باتجاه نحو الباب ويغسلون جثته ورجليه بماء ساخن ويتولى غسل الرجال رجال وغسل النساء نساء. وتعطر الجثة بالروائح العطرية وتغطى فى لفائف من الصوف أو القماش، ثم يجعلونه على مضجعه الجنازى ورجلاه مشدودتان ببعضهما، ويطوى ابهامه فى كفه فيظهر أول حرف من لفظ جهوفا الذى تفسيره الله

واعتادوا أن يضعوا بجانب رأس الميت فى قبره قنديلا مضيئاً ، وقد أشار السيد المسيح الى الطيب الذى كان معداً لدهن جسمه، وقال عن الطيب الذى ألقته مارى على قدميه «قد عملت عملا صالحا وحفظت هذا الطيب ليوم دفنى» (متى الفصل ٢٦ الأعداد ١٠ الى ١٢) ومن هذا نفهم السبب الذى حمل نيوقوديموس على استحضار المرّ والصبر لتحنيط جسد الرب، وندرك الحكمة فى ذهاب النساء التقيات صباح يوم الاحد لقبر المسيح ومعهن المواد العطرية

قال بنيشر (Bénicher) فى كتابه الخاص بالتحنيط قديما وحديثا إنه

الصبر والمرّ والمواد العطرية الخالية من المزيجات الفنية التى كان يستعملها قدماء المصريين ليست باستعمالها وحدها كافية لحفظ الجثة من الفناء، لأن جثة اليعازر التى عطرت بها ابتدأ تعفنها فى اليوم الرابع من دفنه

وبعد خراب مدينة أورشليم ابتدأ اليهود يتركون استعمال هذه المواد فى تحنيط الجثث، واكتفوا بغسلها بالماء الممزوج بالنباتات العطرية كالزعتر والنعناع والبابونج وما أشبه

التحنيط الوقتى عند اليونان والرومان

اشتهر عن اليونان والرومان إعجابهم بكل شىء جميل فى منظره قوىّ فى كيانه نافع بالمجتمع العمرانى لاستعماله فيما يحسن لفائدته، وبهذه المبادىء الذهنية عندهم اعتبروا الموتى أجساماً لاحركة لها، فهى كالأخشاب وباقى المواد التى تعد للحريق ولهذا لم يحفلوا بالتحنيط الا لقليل كجثث الموتى من ملوكهم

وقال هومير إن اليونان صبوا مراراً السلسبيل فى منخر بتروكل طلباً لبقاء جثته

وروى بلوتارك وغيره أنهم بعد موت اجيزيلاس دهن أصدقاؤه جثته بالشمع وأرسلوها محفوظة بهذه الطريقة الى مسقط رأسه.

وروى أيضاً استاس (Stace) ان جثة اسكندر ذى القرنين حنطت كطلبه فدهنت بالعسل ووضعت فى تابوت من الذهب ونقلها بطليموس على عربة كبيرة من بابيلون الى ممفيس، وهناك وضعوا الجثة فى تابوت من

الزجاج بدلا من التابوت الذهبي ليستطيع الناس مشاهدة هذا الرجل العظيم

والمأثور عن الرومان أن قوانينهم القديمة كانت تحتم تحويل الجثث الى رماد حتى أن شعراءهم لم يذكروا فى كتاباتهم أنهم أبقوا الجثث ولو بطريقة خاصة

وقال كاريبوس (Carippos) فى رثائه الامبراطور جوستنيان (Justinien) إن الرومان اكتفوا فى تشييع جنازته بايقاد البخور المتداول ببلاد العرب فى مكان الاحتفال بالجنازة، وملأوا أوانى كثيرة من الرياحين والروائح العطرية رمزاً الى طيب ذكره وانتعاش روحه فى حياتها الأخروية

وقال بنيشر (Penicher) لا يبعد أن تكون هذه العادة عمت البلاد لأنهم فى عهد البابا سكستس الرابع (Sexterv) عثروا تحت الطريق الابيانى (Apienne) على جثة ابنة صغيرة كان الجمال ظاهراً على وجهها، وكانت منقوعة فى ماء مالح. وقال سترابون إن هذا الماء كان عند الأشوريين عبارة عن العسل السائل وبه حفظ اجزيبوليس (Agisipolises) ملك سبارت (Sparte)

وكان التحنيط الوقتى عندهم خاصاً بالرجال العظماء الذين تستدعى عظمتهم إبقاء جثتهم أياماً ليراها الجمهور الذى كان يحترمهم ويعتبرهم كآلهة من الطبقة الثانية كما مرت الاشارة اليه

وكان أهالى أثينا ورومة يفتخرون بموتاهم ولا يبكونهم؛ ويعتقدون أن الانسان اذا مات ينبغى عدم الاسترسال فى الاهتمام به بأزيد من حفلات الجنازة والتعزية ولذا لم يهتموا بتحنيط الجثث عندهم.

التحنيط فى القرون الوسطى و القرون الاولى

من التاريخ الحديث

لما أحس الرومان بقوة بأسهم فى المستعمرات التى احتلوها عمدوا الى محق النفوذ اليونانى؛ وغزوا قرطاجة ومصر، وحرم ثيودوس على المصريين عاداتهم الدينية ومنع اقامة شعائرها منعا تاماً وبدد شمل اليهود الى آخر ماهو مبسوط فى المطولات التاريخية؛ ثم اسقط البرابرة الدولة الرومانية كأن قوة الانتقام الالهى حتمت على اولى الجبروت أن يجرعوا كأس الذلة بعد العظمة والضعة والهوان بعد قوة البأس وعظم الصولة؛ وكان تاريخ سقوط دولتهم سنة ٤٧٣ ب . م ولم يبق شىء فى بدء القرون الوسطى من هذه الشعوب العظيمة التى حاربت قرونا طويلة منتصرة لآرائها معضدة لدياناتها مروجة لتجارتها ناشرة لواء العظمة والمدنية لكيانها

خلفتها شعوب أخرى فى البلاد ونقلوا اليها عاداتهم ، وكانوا يجهلون تاريخ ماضيها العظيم وقلبوا وبدلوا فى النظامات ولم يحترموا ممتلكات غيرهم ولم يميزوا بين الخير والشر ، واتخذوا السادات عبيداً وأهانوا المرأة التى كانت تحترمها الشعوب الراقية قبلهم أزمانا طويلة

ثم نجح بعض الوعاظ فأرشدوا الأمم البربرية المذكورة الى إعمال الفطنة والتروى ، وابتدأوا ينزعون من تصوراتهم الأخلاق الهمجية والعادات الوحشية ويغرسون فى عقولهم الفضائل النفسية والبر بالانسانية والشمائل الكريمة ومنها التجاوز عن خطايا المسىء والحنان والرأفة بالضعيف والمواساة للغريب . وأن الديانة المسيحية جاءت تدعو الى الخير وتنهى عن

الشر وأن المتمسكين بها أهل للعطف عليهم وحسن مجاملتهم

وكانت هذه الأدوار قبل انبثاق النور العقلى شؤما على المدنية التى كانت منتشرة فى العصور الغابرة . ولا غرابة بالنظر الى ذلك أن يتلاشى فن التحنيط فى كل هذا الزمن الطويل كباقى العلوم التى كانت تستضيء بمعونة المجدّين فى تداولها والاقتباس من أسرارها ، ثم جاء زمن الفوارس (Chevalerie) ومن مبادئهم أن الحق للقوة فاثاروا الحروب وأوقدوا الفتنة الداخلية بين الأمراء وبعضهم وبينهم وبين الملك، فاستباحوا فظائع النهب والسلب وهتك الأعراض وسفك الدماء واستمرت الفوضى منتشرة فى ذلك الزمان

وقد تيقظ رجال الدين المصلحين فأسسوا الأديرة والكنائس والمجتمعات العلمية العديدة لألقاء الوعظ والأرشاد، ثم تقرب الكهنة الى بلاط الامراء واستمروا فى اقتحام هذا الظلام بقوة العزيمة تقودهم اليها قوة الأمل فى النهضة العقلية التى لابدّ أن تستنير البلاد باضوائها واستطاعوا بذلك غرس مبادىء التهذيب فى النفوس واقناع الجماهير بالأقلاع عن خطاياهم، ولكنهم فى خلال ذلك لم يهتموا باحترام جثث الموتى كقدماء المصريين لاعتقادهم أن مداواة الاخلاق العامة ورفع المفاسد ومحو القسوة المتناهية اولى بالاهتمام من باقى هذه الكماليات الوجدانية

وكانوا يعتبرون الحياة الدنيا كميدان سياحة والأرض مصدر الآلام والنفس هبة من الله وستعود الى خالقها، والجسم جثة بالية لابد أن تعود الى معدنها الترابى الذى بدأ الله خلقها منه كما جاءت التوراة بنصوص كثيرة فى هذا المعنى .

ولـكن الملوك أرادوا من باب الأنانيـة والعظمة أن يبقوا جثثهم بعد موتهم فقرروا تحنيط الموتى منهم وحنطت جثة هنريكس الأول سنة١١٣٥ ب.م. وعملت لها الفتحات الفنية والاحتياطات القانونية باخراج الامعاء ونحوها ووضعوا مكانها الطيب والأجزاء العطرية والفتحات فى التحنيط هى الطريقة المصرية القديمة،ولـكنها وحدها لا تكفى وكأنه قد غاب عن أذهان المحنطين فى ذاك الوقت أن تجفيف الجثة من أهم العوامل لتصير صالحة للبقاء، آمنة من التعفن والفناء .وقد جرب بعض المشرحين فى القرن السادس عشر وسـائل اخرى لحفظ الجثة وفى جملتهم الطبيب الهولاندى رويش (Ruysh) الذى كانت له شـهرة ذائعـة فى فن التحنيط وكان من أسـاليبه فيه اسـتخراج المخ من الدماغ واخراج الأحشاء من البطن وملء مكانهما بتركيب من الشمع ممتزج ببرافين (paraffine) وسنابى (Cénabie) ويحفظ الجثة فى الـكحول.وزعم سيوامردام (Suammerdam) الطبيب الشـهير فى التاريخ الطبيعى أن له الماما بسر بقاء الجسم بطريقة تنحصر فى القاء الجثة مراراً فى زيت النفض بعد أن تفصل عنها الأحشاء والمخ والأجزاء الرخوة وتغطيتهـا بلفائف ممزوجـة بمواد تمنـع عنهـا مؤاثرات الهواء

وأراد العالم جنال (Gannal) والدكتور (Sueguet) تجربة هذه الطريقة فلم توصلهما الى التعويل عليها. والقائلون بان من أهم مسـائل التحنيط التجفيف لجأوا الى المواد السائلة احتيالا فى الوصول الى غرضهم العلمى ولـكنها سببت الأختمار الموضعى فى الأجزاء المستترة ولم تف بالغرض المطلوب

فمن الأطلاع على كل التفصيلات المتقدمة يجب الأذعان منهـا

بالفضل الاكبر لاولئك العلماء الباحثين الذين بذلوا مجهوداتهم وكل استطاعتهم فى المباحث الدقيقة وان تزف الى أرواحهم واجبات الثناء الخالد لان الكهنة وعوام الشعب كانوا يقاومون عنايتهم ويسعون فى إحباط مسعاهم لكراهيتهم التحنيط بادعائهم مخالفته للوجدان الدينى وان الانسان كما خلق من التراب فيجب أن يعود اليه

التحنيط الحديث

لم يقعد همم الباحثين الذين اعترفوا بالعجز عن مجاراة الأقدمين فى فنون التحنيط القديم عن صرف مجهوداتهم العلمية فى التوصل الى اتقان التحنيط الحديث الذى يمكن باتباعه تحنيط الجثة وبقاؤها محفوظة زمناما. ومن العلماء المتضلعين الذين اهتموا بالاكتشافات الحديثة العالم شوسييه (Choussier) الاستاذ فى مدرسة الطب بباريز ، فقد قرر أن الاستعانة بالسليمانى تمنع التعفن وساعده فى رأيه بوديت (Boudet) الأجزاجى فاستحضر تركيبا لذلك من الممزوجات الآتية :

(١) مسحوق قشر السنديان والملح الممزوج بالكينا والقرفة وبعض مواد اخرى عطرية والقاروالبخور تسحق كلها وتمزج بالزيت النقى

(٢) الكحول المتشبع بالكافور

(٣) الخل الممزوج بالكافور والكحول الممزوج بالبخور

(٤) دهان مركب من بلسم منقول من بيرو(Perou) والميعة السائلة وزيت الجوزة الطيب وخزام وزعتر

(٥) الكحول المشبعة بالزيبق .

ومتى أعدت هذه التراكيب شقوا الجثة وأخرجوا الأحشاء وفتحوا غطاء جلد الجمجمة ونشروا عظامها وأخرجوا المخ وغسلوها كلها مراراً بالماء الكثير والكحول الممزوج بالكافور، ويضاف الى الغسل بالماء الغسل بالخل والكحول المشبع بالكافور وتدهن الفتحات بمحلول السليمانى وتعاد الأحشاء الى محلها ويخيطون غطاء الجلد

قال المسيو جانل انهم بهذه الطريقة حنطوا جثة لويس الثامن عشر ملك فرنسا وجثث الشيوخ وكل عظماء رجال الأمبراطورية الأولى.

وقال الدكتور سيكيه (Suquet) ان هذه العملية التحنيطية قد تجرح إحساس العائلات ، ولهذا اقصروا استعمالها على الظروف الاضطرارية واستمر العلماء فى مباحثهم لتقرير قاعدة جديدة لعملية التحنيط بدون ايجاد فتحات فى الجثة وتوصل الى ذلك العالم بكلارد (Beclard) رئيس التشريح بمدرسة الطب فى باريز فاخترع حقنة لهذا الغرض من محلول الزيبق فى قصبة الشريان بواسطة فتحتين صغيرتين تحت الابط وقرّر استخراج الأحشاء بفتحة صغيرة فى البطن وتلقى الجثة بعد ذلك شهرين فى حوض مملوء بالسليمانى فتبقى الجثة بهذه الطريقة سنة كاملة بدون أن يطرأ عليها تغير .

التحنيط العصرى

ان عواطف الحنان والمحبة فى بنى الانسان لمن اختصوهم من بين المجموع بالمكانة الرفيعة لا تنقضى أعراضها من الأحياء بموت اعزّتهم، بل

تستمر هـذه العواطف فى النفوس بقدر ما كان بين الفريقين من قوة الرابطة وصلة الألفـة والاجلال ، لهذا كان الاعتناء بحفظ جثث الموتى يومىء الى الاحترام الفطرى المترتب على هذه العواطف النفسية التى تجعل الأحياء يألمون لعجزهم عن حفـظ تلك الاجساد من التلف . والعلمـاء لم يقصروا فى المباحث التى ظنوها توصـلهم للاحتفاظ بجثث الموتى أزمانا طوالا ، ليكون فى بقائها نوع التسلية عن فقدانها وبقاء الأحياء بعـدها يعانون ألم الفراق والحسرات .

ان تغيير الجسم بعد الموت مما لاشك فيه، ولكن الاعتبارات المعنوية تبقى راسخة فى الاذهان وتحرك القلوب الى التأثر والحنان .وقد قال بوسييه (Bossuet) فى رثاء هنرييت ملكة انكلتره ان الأجسام تتغير طبيعتها بعد الموت . فالفرد حال حياته يسمى هيكله الانسانى جسما مكرماً ، وبعد موته جثة خامدة،وبعد أيام رمة متعفنة ثم يصير رفاتا ،وتتلاشى أجزاؤهم الى ذرات ترابية تعافها النفس وتشمئز العين من إطالة النظر اليها ، فالموت يؤثر حتى على التسمية اللفظية لأدوار الجسم بعد الحياة، ولكن الكماليات النفسية لا تزول آثارها الشخصية ولا العلمية ،خصوصاً لان من خدموا النوع الانسانى بالمؤلفات ونحوها تتناقل الأجيال ذكرهم بالتعظيم والاحترام. فالمعنويات الأدبية من هذه الوجهة أسمى من الماديات الحسية، وعلى هـذا يكون إكبار الفضيلة فى النفوس أليق بكرامة الأرواح الخالدة

قال لافوازيه (Lavoisier) ان التعفن هو الفساد الباطنى لمادة الاعضاء بواسطة أكسيجين الهواء،فيحدث فيها انحلالا يشبه الاحتراق

وفى سـنة ١٨٦١ اكتشف المسيو باستير (Pasteur) الأسباب

الحقيقية لهذا التعفن، ونسبها الأجسام مكروسكوبية حية، وهى التى سماها المسيو سيديلو (Sédillot) سنة ١٨٧٨ بالمكروبات ؛ فان هذه تعطى للاكسيجين الواسطة لحرق الجثث وتحويلها الى أدوار جديدة . وقد قسم المسيو باستير (Pasteur) المكروبات الى قسمين القسم الأول المكروبات التى لاتعيش إلا من الهواء ، والقسم الثانى التى تعيش من غيره . فالأول لاتعيش إلا بواسطة الاكسيجين النقى ، والثانى باقترانه بأكسيجين ، ويعيش النوع الاول على سطح المواد المنتنة ، والثانى يعيش فى أعماقها فيتلف الجثث ويحدث لها صفات التخمر ، وتتحول المواد الزلالية الى متحصلات غازية ومواد جديدة كالهدروجين وغيره ، فاذا تصادف بالكبريت والفسفور والآزوت نشأ منه الهدروجين الكبريتى والفسفورى والنشادر . فاذا اجتمعت هذه الاجسام معاً كوّنت هذه الرائحة الكريهة المعروفة بالتعفن

وقد بحثوا فى كيفية توالد هذه المكروبات فقال المسيو ديكلو (Duclaux) فى كتابه للكيميا ان كل مسطح الجسم مملوء بالتراب الذى ينقله اليه الهواء ، والقنايتان المعوية والهضمية مملوئتان بجراثيم ومكروبات تذيب المادة اللّينة . ومتى مات الانسان وجدت كل هذه المكروبات حيّة أمام هذه الخليات المائتة فى الجثة فتخرق القناة الهضمية وتدخل هذه المكروبات فى الأعضاء ، وتساعدها الانفصالات التى تلين العناصر الليفية وتغيرها . واستطالة بعض أعضاء الجسم تحدث استخراج الغاز المنتن ، فيتمزق الجلد وتستطيع مكروبات الهواء اتمام مهمتها . ومادة الأعضاء التى لاتذوب فى الماء تتحول الى روح النشادر والماء وحمض الكربون ، وتزيل حشرات الجثة المعروضة فى الهواء أو المدفونة فى الارض ، وتكون أولادوراً صغيراً

ثم تصير حشرات جديدة فى خلال ثمانية أيام أو خمسة عشر يوماً، فتجتذب الحشرات من الرائحة الكريهة المتصاعدة من الجثة ،فتبيض عليها وينتشر الدود الصغير فى كل الجثة، وتمتص الاخلاط السائلة وتزيل الأجسام الشحمية ولا يبقى من الجثة سوى الأعضاء اليابسة والعراقيب والجلد والمفاصل التى تهجم عليها أيضا بعد ذلك أنواع أخرى من الحشرات حتى تبيدها

هكذا يزول بعد الموت هيكلنا البشرى الذى تأكله المكروبات البشرية وغيرها و تفنيه الحشرات. وبعد خمس سنين غالباً لا تجد له أثراً من المواد الآلينة و تفقد العظام هيكلها العظامى، و تتفتت مبتدئة بالجانبين فالحوض فالأعضاء حتى يمضى على ذلك اثنى عشر أو خمسة عشر سنة، فلا تجد من الجسم البشرى إلاّ قليلا من الرماد فيتم قول التوراة « أيها الانسان أنت من التراب والى التراب تعود » وبعد مضى زمن طويل يتحلل هذا الرماد وينتهى دور الزوال التام

لوْ يعقُـلُ الانسانُ عقبى أمرِهِ بعدَ المماتِ وقدْ ثوَى فى قبرِهِ
لبكى وأضنتـهُ الهمومُ وزادَهُ خوْفُ الفناءِ تخبطاً فى سيرِهِ
صوَرُ الحياةِ نضيرة فى شكلها لكنْ تضلُّ أخا النُهى فى فكْرِهِ
يُقضى الحيــاةَ مُنعماً مُتأنقـاً ويسوقُهُ للقـبرِ وارث قصرِهِ
عجبـاً يَهونُ على الأحبَّـةِ تركُهُ فى الارْضِ هلْ جحدُوا عواطفَ برِّهِ
لمْ يكفرُوا حسناتِه وفعالهُ لكنْ لحكمِ الموْتِ قوّة قهرِهِ
فهناكَ لا يُنجى الصّديقُ صديقَهُ فالكل عندَ الموتِ صرْعى دوْرِهِ

*
* *

وقد قالوا انه من الممكن إيقاف فساد الجثة بنوعين : إما قتل مكروبات الفساد بمواد تمنع التعفن ؛ وإما بمنعها من أن تعيش وتنتشر وذلك بحرمانها من الماء ، ولا تتأتى وسائله الا بالتجفيف وتم ملاشاة الحشرات بواسطتين (١) بواسطة قتلها ومنعها من أن تبيض على الجثة (٢) إبعادها بواسطة الروائح العطرية والبلسم لان الحشرات تخافها

والعلم الحديث قد أحاط بكثير من النواميس الطبيعية التى تحفظ الجثث فى حالة جيدة فى البرد والحر ، ولا نتعرض هنا لنتائج البرد فقد عرفنا تأثيره وخاصيته من جثث السواح والمكتشفين التى وجدت فى جبال الالب(Alpes) وجروانلاند (Groenlanb)

وقد وجد فى جدران مخزن جثث الرهبان فى دير يعاقبة تولوز (Toulouse) جثث محفوظة فى حالة جيدة .وقال العلامة فوتتنيل ان حفظها ناتج عن حرارة المدفن . ويوجد بقرب ليون فى كنيسة الاموات جثث محفوظة فى حالة جيدة وعليها لفائف كوقاية لها . وقال برسيلى (Parcelly) ان حفظها ناتج من جفاف الهواء وسد المخزن سداً محكما . وهكذا عثر العلماء على كثير من الجثث المحفوظة في أماكن مختلفة فى حالة جيدة

وتوصل الدكتور لاسكوسكى (Laskouski) الى حفظ كثير من الجثث بواسطة التجفيف على قاعدة ما تيسر له اكتشافه من نظائرها التى وجدت أزمنة محدودة فى حالتها الطبيعية . واستعمل تجاربه فى جثث الطيور فاخرج منها كل الماء الموجود فى منسوجاتها (أى ٦٠٪ من وزنها) وحفظها زمناً طويلا بواسطة تجفيفها تجفيفاً تاماً فتتصلب الاجزاء اللينة

لصعوبة تجفيفها. وقد بحث الاستاذ المذكور فى طريقة أخرى لتجفيف هذه الاجزاء ؛ فعوّل على استحضار سائل مركب من ٥ كيلو من حمض الفنيك ممزوجة بمائة كيلو من الجلسرين، و٥٠٠ ائة كيلو من الجاسرين مضاف اليها عشرين كيلو من الكحول درجة ٩٠، ومن ٢٥ كيلو من حمض الفنيك ويذوب فى هذا السائل ٥ كيلو من حمض البوريك ؛ واستعمل هذا المزيج لعمل حقن فى وعاءَ الجثة من ٤ الى ٦ كيلو لكل جثة .

وقد قرر الدكتور فاريو (Variot) طبيب المستشفيات بباريز استعمال الانتربو بلاستري لحفظ الجثة من الفناء ؛ فكان يغسلها به أولا من البطن بواسطة مسبر (مجس) يدخله فى المرئ وينظف البطن بسائل مانع للتعفن . وفى الصيف يستخرج كعادة قدماء المصريين جميع الأحشاء لعمل شق فى وسط البطن، ثم تحقن الجثة بمحلول من مزيج كلورير الزنك وحمض الفنيك والجاسرين، وتحقن مقلة العين بالبرافين لمنعها من الانخفاض، ويسد الشقوق كالفم والجفون بالمصطكى ؛ ويدهن الجلد بمحلول من نترات الفضة ثم تنقع الجثة فى حوض محلول من سلفات النحاس مدة خمسة أيام أو ستة ثم ترفع من الحوض وتوضع فى صندوق، وقد أكد أن هذه العملية تحفظ الجثة من الفناء زمناً طويلا

وقد استفاد العلم الحديث من استعمال الكهرباء فى التحنيط حظا وافراً ؛ لان كثيراً من الاهالى يشمئز من تشريح الجثث فجاءت الكهرباء مطابقة لمشتهياتهم

وكان المصريون يستعملون فى طرائق التحنيط التجفيف فى البلاد الحارة . واكتشف الاستاذ ديبوا (Dubois) بباريز طريقة للتحنيط فى

البلاد الباردة بأن استعمال الكحول الاميليكى (Alcool amylique) المضاف اليه الأثير النتريك ، وبمزجهما يستعملان حقناً للجثة فى أجزاء كثيرة منها ،فتتشرب من هذا المحلول ثم تجف ويثقب المحنط بأبر صغيرة الحبات التى تظهر على الجثة فيسوّد الجلد ويتجفف وينقص حجم الجثة .

واستعمل الانكليز فى لندن لحفظ الجثث محلولا مركباً من ١٠٠٠ جرام من الملح الرمادى و٤٨٠ جرام من الحجر الشاب، ثم استعمل فان فاتر (Van Vater) محلول الجاسرين من نترات البوتاس والسكر الخام . وأطباء (فيّنا) يستعملون طريقة الاستاذ لانجر (Langer) بحقن الشرايين من مزيج الجاسرين وحمض الفنيك والكحول

وقبل اكتشاف الدكتور لاسكوسكى (Laskouski) والدكتور برسيلى (Parcelly) كان أطباء باريز يستعملون السائل الذى ركبه برسون (Personne) وهو مركب من ٥٠٠ جرام من هترات الكلورات و٢٥٠٠ جرام من الجلسرين ونصف من الماء المقطر

ويتضح من هذه الملخصات أن غرض الأطباء لم يكن مس كرامة الأحياء ،ولا امتهان شعور العائلات، بل غرضهم البحث العلمى وهو فى نظرهم فوق كل الملحوظات العرفية

توصل الأطباء والعلماء الآن لحفظ القطع المشرحة من جسم الانسان الطبيعى، لتلقى القواعد الفنية حتى يستطيع المشرحون مستقبلا أداء واجبهم خدمة للأنسانية بأعمالهم المفيدة، لان درس تركيب الأنسان يستدعى عناية وتوسعاً . وبهذه الطريقة يرجع الفضل اليهم فى تدوين ماتقوم به مباحثهم، خصوصاً اذا توصّل الاختصاصيون فى الطب الباطنى الى معرفة أسباب

الأمراض كما ان ذلك يفيد أيضاً فى تحنيط الجثث من أجل الطب الشرعى فى التحقيقات القضائية الجنائية

***

والخلاصة أن التحنيط بأنواعه كما استعمل فى العصور الأولى والوسطى والحديثة لأغراض أدبية ترجع الى معتقدات دينية وعواطف عائلية، فانه قد أفاد العمران بما أمكن الوصول اليه فى الاكتشافات المتوالية عن دول وملوك غابرة . أفادتنا تواريخ النقوش الموضوعة على قبورها وتوابيتها بما كان لهم من العظمة والتضلع والتنور والاقدام والاجتهاد فى نشر العلوم وصيانة أسرارها . فالتحنيط كما أفاد من الوجهة الأدبية أفاد أيضاً فى الاكتشافات التاريخية والجغرافية والمعلومات المتنوعة. فالهمم التى اقتطفنا عن آثارها هذه المعلومات جديرة بأن نخلد ذكرها بما نستطيعه من آيات المدح والثناء فما جزاء الانسان الا الاحسان.



خلاصة في التحنيط

نقلا عن كتاب المستر اليوسميث

بعد ان اقتطفت مااستطاع اليراع تدوينه فى هذا المؤلف عن موضوعه الثمين قد أطلعتنى الصدفة على مباحث شيّقة عن التحنيط فى عهد الفراعنة ليست مما تجود الصدف بالاطلاع عليه فى غيره ، فلهذا أسرعت فى تلخيصها إتماماً لفائدة القارىء الذى تسره الاحاطة العلمية لكل جديد مفيد

التحنيط فى عهد الدولتين القديمة والوسطى

تحت هذا العنوان أنشأ المؤلف المشار اليه خلاصة تاريخية عامة ضمّنها ان فحص العلماء فى عظام الهياكل للجثث المجففة بمصر وبلاد النوبة يرجع تاريخه الى ماقبل الأسر الفرعونية بآلاف السنين، وقد صرّحوا بأنهم لم يجدوا فيما اكتشفوا منها بتلك العصور أثراً للمواد التى استعملت لصيانتها من الفناء حتى كان يمكنهم الاسترشاد لبعض المباحث الفنيـة لمعرفة شىء من تلك العقاقير النافعة

وبذل الدكتور شميد كل عناية فى ذلك ، فلم يهتد بكل مابذل من التجارب الى حقيقة هذه العقاقير ؛ وقال ان المزيجات التى عثر عليها كثيرة الشبه بالانسجة العضوية للعظام وللصمغ الصنوبرى

ومن الباحثين من قال ان محتويات الجماجم يرجح أن تـكون من الصمغ الصنوبرى أو القار ،ويرجح غيرهم ان هذه المادة هى من المخ المجفف

وعثر الدكتور ريسنر (Reisner) فى نجع الدير على جثث تدل أقدميتها على انها من قبل العصور الفرعونية وفى حالة جيدة ، أكثر مما اعتادوا الاعتقاد بأنه من نتيجة هذا الفن ، ورسخ ان هذا الرونق يرجع الفضل فيه الى طبيعة ومنطقة الجو .

وقد ذكروا ان الأجسام المحنطة من هذا الشعب القديم وضعت فى الرمال الجافة وسترت بها الى درجة تمنع اختراق الهواء للمسام فتجففت بحالة منيعة

وقبل احتياط العلماء المحنطين فى فنونهم كانت الجثث قابلة للكسر ثم التلاشى بدليل أنه لم يعثر على شيء منها فى المتاحف الشهيرة

وقد وجدت جثث قليلة يرجع تاريخها الى الأسرة الأولى منقولة من حفائر المسيو مرجان فى نقادة والمستر بترى فى أبيدوس والمستر ريسنر فى نجع الدير . وعثر المستر كويبل على جثث أخرى محنطة من الاسرة الثانية ، ولكن كانت عمليات التحنيط غير جيدة ، لانها لم تستمر كاملة الاجزاء حين رفع الكفن عنها

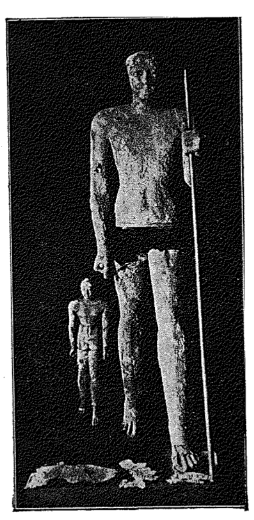
وعثر المستر جارستانج على جثث أخرى من عصر الأسر الثالثة الى السادسة فى ناحية بنى حسن ، ولكنه لم يجد بها أثراً من التحنيط

ومن هذا لم يمكن الجزم بطريقة تحديدية للوقت الذى كانت فيه بداية التحنيط

رأس مومية منزوفيس الاول

ويرجح ان أوائل انتشاره كانت فى عصر الأسرة الثالثة الى الخامسة ويوجد بالمتحف المصرى (راجع دليل ماسبرو سنة ١٩١٥ صفحة ٣٠٩) رأس مومية الملك متزوفيس الأول ابن الملك بيبى الأول عثروا عليها بهرمه الكائن بسقارة ، وفيها ضفيرة صغيرة مما كانت فى عهدهم مألوفة لرؤوس الاطفال ، واستدلوا بذلك على انه مات حديث السن ، ويظهر ان بعض اللصوص فصلوا الرأس عن باقى الجثة الموجودة فى محنطات الاسرة السادسة المحفوظة بالمتحف المصرى بالطبقة العليا فى القاعة حرف C

تجد فى الطرقتين K ، M من الطبقة العليا للمتحف المصرى الجثث المحنطة للملوك ورؤساء كهنة المعبود آمون



الملك بيبى الاول وأبنه بحجم صغير
والاصل بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى

وكان فى بدء الأمر كل ملك من ملوك الأسرة الثامنة عشرة الى العشرين يشيد مقبرة خاصة له ؛ وأغلب هذه المقابر منحوتة فى وادى أبواب (بيبان) الملوك الواقعة فى جبل القرنة التى تحوى مقبرة طيبة القديمة (الاقصر والكرنك)

وفى عهد أواخر الملوك الرعامسة انتهك بعض اللصوص حرمة الجثث لسلب ما عليها من الحلى ، فهب رؤساء كهنة المعبود آمون فى عهد الاسرة

٢١ وجمعوا جثث الملوك فى محل واحد لتسهل حراستها . وأسفرت نتيجة البحث الرسمى وقتئذ عن سرقة حلى الجثث وأخذما عليها، فكفنوا الجثث المجردة من أكفانها ووضعوها فى توابيت جديدة، ونقلوا جميع الجثث الى مقبرتين أو ثلاث حتى لا يتمكن اللصوص من الوصول إليها .

وفى أوائل حكم الملك ششنق أول ملوك الأسرة ٢٢ وضعت جميع الجثث المحطمة فى إحدى قاعات مقبرة امنحتب الثانى وسد مدخلها سداً محكما . أما الجثث التى لم تمس بضرر فقد شقوا لها الجبل الفاصل بين وادى أبواب الملوك والدير البحرى، ووضعت توابيت كهنة المعبود آمون (الاسرة ٢١) فى مقبرة قديمة للأسرة الحادية عشرة ، وهى فى غيابة جب منيع ، ولكنه سهل الحراسة ، وله فتحة صغيرة من جهة الجبل المجاور للدير البحرى . ولبثت جثث الملوك فى بطون هذه القبور حوالى ألفى سنة ؛ ولم تنلها يد اللصوص حتى كشفها عرب القرنة سنة ١٨٧٥، واستولت عليها مصلحة الآثار المصرية سنة ١٨٨١، وفى سنة ١٨٩٨ كشف قبر الملك امنحتب الثانى ونقلت جميع جثث الملوك المحنطة إلى دار الآثار لتعيد لنا ذكرى عظمة أجدادنا الكرام وفخر بلاد آبائنا العظام ؛ فجاء العلماء وجردوها من أكفانها وفحصوها ، وصورها الأطباء وقاسوها حتى عرفوا أنواع الأمراض التى أدت بها إلى الهلاك

واليوم أحرزت دار العاديات ثلاثاً وثلاثين جثة ما بين ملك وملكة وأمير ورئيس كهنة وجثث بعض الأعيان النابغين ،

وقد وجد كثير من جثث الدولة الوسطى كما عثروا على جثث أخرى من الأسرة الحادية عشرة الى الأسرة الثالثة عشرة ، ولم يلحق التلف إلا

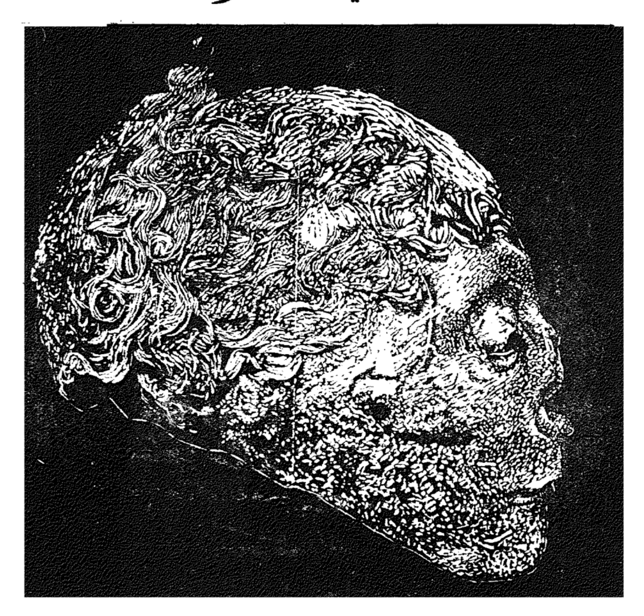
قدراً قليلا منها،وتوجد الآن فى متاحف أروبا وأمريكا ولم ينشر عنها إلا معلومات قليلة

وتحوى الطرقتان A،J والأيوان E من الطبقة العليا من المتحف المصرى عدة توابيت مختلفة الوضع للأسرة الثانية إلى العصر الرومانى. فأقدم هذه التوابيت على شكل أوان من الخزف أوصناديق من الخشب، تشبه بيتاً توضع فيه الجثة مضموم بعضها إلى بعض،كما ترى ذلك فى الخزانة الواقعة فى الجهة الغربيــة القبلية فى الجزء الاسفل . ثم خطر بفكرهم بعدئذ أن يصنعوا توابيت لها زوايا حادة داخلها الجثــة مبسوطة راقدة على جنبها الايسر ويضعوا على التابوت عينين كبيرتين مرسومتين أو مرصعتين تدلان على مكان الرأس ، ثم ترقت الفكرة عندهم حتى كانوا يصنعون التوابيت فى أوائل الاسرة ١٢ على شكل إنسان ورسومها تختلف باختلاف العصور والاماكن وبالطرقة J تابوت جميل لبتوزيريس (Petosiris) الكاهن الاكبر لتوت معبود مدينة هرموبوليس الـكبرى،ويرجع تاريخه إلى أواخر القرن الرابع ق . م . وترى عليه خمسة أسطر محلاة بالعجينة الزجاجية آية فى الحسن والجمال.

وفى وسط الشرفة القبلية بالطبقة العليا من المتحف المصرى تحت رقم ٣٣٤٨ جثة مساحتى أمير أسيوط (الاسرة ١٢) والجثة مضموم بعضها الى بعض وبجانبها البخور والمرآة والصندل .

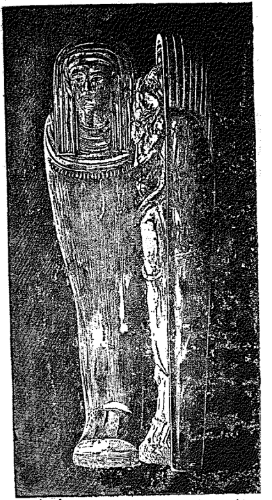


التحنيط في عهد الاسر ١٨ الى ٢٠



راس مومية الملك احمس الاول

منها مومية الملك أحمس الأول مؤسس الأسرة ١٨ وطول جثته ١ متر ٦٧ س اكتشفت سنة ١٨٨٦، ومكتوب اسمه على كفنها بالخط الهيراطيقى وهى محفوظة بالمتحف المصرى بالطبقة العليا تحت رقم ٣٨٩٤ وبفحصها تبين ان المحنطين شقوا جنبه الايسر ، خلافا لما كان عليه الاصطلاح الفنى الذى رواه هيردوت عن اعتيادهم اجراء التحنيط فى الأنف بواسطة



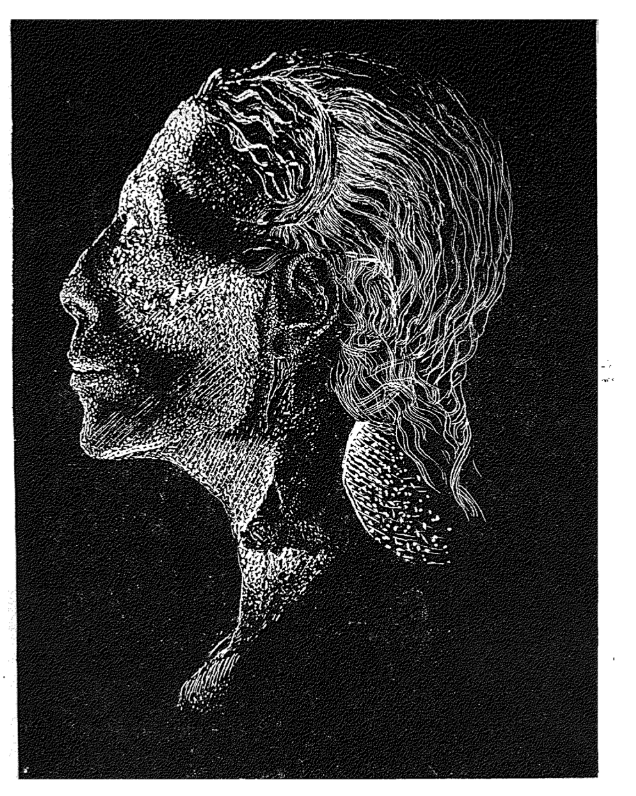
تابوت فيه جثة الملك احمس الاول

الآت دقيقة حديدية لاخراج محتويات الجمجمة وما يحتاجه اتقان الصناعة

يشمل هذا التابوت جثة الملك أحمس الاول محاطة باشرطة من قماش وعلى رأسه وجه مستعار من الورق المقوى وباقى الجسم مغطى باكاليل الزهور والجثة من محفوظات المتحف المصرى بالطبقة العليا تحت رقم ٣٨٩٤ (الاسرة ١٨)

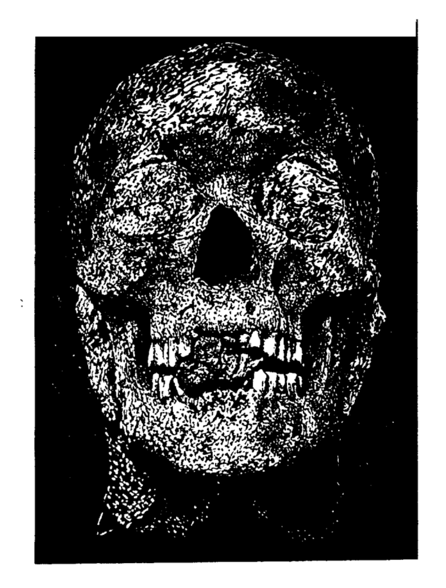
الى اليمين غطاء تابوت فيه جثة الملك تحوتمس الثانى وطول جثته ١ متر ٧٧ س ومكتوب على صدرها فى السنة الرابعة فى اليوم السابع من الشهر الثالث من فصل الحصاد أصلح الكاهن بانوتمو هذه الجثة من آثار ووجدت مشوهة بها دلالة على أعمال بعض الاشقياء أو اللصوص

أمنوفيس الثانى لازالت جثته فى قبره بوادى ابواب الملوك وقد وجدوا معه جثة طفل يناهز من العمر احدى عشر سنة غير مختتن خلافا للعادة المتبعة فى ذلك العهد عن ختان الاطفال



راس مومية تحوتمس الرابع

من الأسرة ١٨ طول جثته ١ متر ٦٠ س اكتشفها المسيو لوريه سنة ١٨٩٨ فى مقبرة امنوفيس الثانى وفحصها الدكتور اليو سميث وقدر أنه مات فى السنة الخامسة والعشرين من عمره وهى محفوظة بالمتحف المصرى



رأس مومية امنوفيس الثالث (الاسرة ١٨)

طول جثته ١ متر ٦٥ س وقد عثر عليها المسيو لوريه سنة ١٨٩٨ فى مقبرة امنوفيس الثانى ، وهى محفوظة بالمتحف المصرى بالطبقة العليا بالطرقة K فى خزانة حرف R تحت رقم ٣٨٨٣ ؛ أما مقبرته فهى بوادى أبواب الملوك فى الجانب الغربى لمدينة طيبا ، واشتهر عند اليونان باسم ممينون وكان حكمه من سنة ١٤١١ الى سنة ١٣٧٠ ق . م وزوجته تدعى تايا . وكانت له علاقة كبرى بملوك بابل وأشور تدل عليها اللوحات التى وجدت مكتوبة بالقلم المسمارى الشهيرة بلوحات تل العمارنة وبعضها محفوظ بالمتحف المصرى

بالطبقة السفلى بالطرقة X داخل صندوقين مربعين من الزجاج (B·A) وهى من الطوب الأحمر (أرقام ١١٩٤ الى ١١٩٩) (الأسرة ١٨)

أمنوفيس الرابع الشهير باخناتون (أى نور قرص الشمس) من أهم حوادثه التاريخية انه غير الديانة المصرية، واتخذ مدينة (اختاتن) المعروفة اليوم بتل العمارنة عاصمة لمملكة مصر بدلا من مدينة طيبة الشهيرة. وكان ينازعه فى سلطته كهنة المعبود أمون، فأراد محو عبادة هذا الآله وغير اسمه واتخذ قرص الشمس معبودا له ومحا اسم المعبود أمون من كل مكان

نقلت جثته من تل العمارنة الى مدينة طيبة ووضعت فى مقبرة الملكة تي، وعثروا على غطا تابوته المرصع بالذهب والحجارة الكريمة وهو من نفائس المحفوظات الثمينة بالمتحف المصرى بالطبقة العليا أمام قاعة الذهب تحت رقم ٣٨٧٣؛ وانتزع الكهنة وجهه واسمه من هذا الغطاء كانتقام منه بعد وفاته كما تسول له الجبانة للنفوس المنحطة

ويستنتج من هيكله أنه مات بعد أن بلغ من العمر حوالى خمسة وعشرين سنة إلى ثلاثين، وكان مصابا باستسقاء فى الدماغ، وكان يستر هذا العيب بلبس الخوذة فى رأسه، وجعل من الزينة لبنتيه لبس الخوذة ليوهم الناس بأن لبسها من شعار عائلته المالكة كما تدل عليه صورهما المنقوشة بالمسلتين رقما ٤٨٢، ٤٨٧ الموجودتين بالخزانة حرف D بقاعة حرف I بالطبقة السفلى بالمتحف المصرى

مومیات الأسرة ١٩

فی متاحفنا کثیر من مومیات ملوکها وقد عثر المستر دافیس سنة ١٩٠٨ علی قبر الملك حور محب مؤسس هذه الأسرة

ولا تزال فی تابوته بقایا جثته ولا یمکن الجزم بانها من جثته أو من ملك غیره ولم تفحص جثته عند اکتشافها

أما جثة رعمسیس الأول فلم یعثر علیها؛ بل عثروا علی جثة ابنه سیتی الأول

الملك حور محب

توجد جثته بالمتحف المصری بالطبقة العلیا امام قاعة الذهب تحت رقم ٣٨٧٥ وهذا والد رعمسیس الثانی . ولم یکن اسود اللون وانما أثر السواد المشاهد فی جثته هو من



رأس مومیة سیتی الأول

القار الممتزجة به مواد التحنيط . واذا أحدقت النظر فى ملامح وجهه تدلّك هيئته على النبل والهيبة . ولم توجد بجثته أعضاء التناسل ، ويظهر ان المحنطين قطعوها اتباعا لعادتهم فى ذاك الوقت

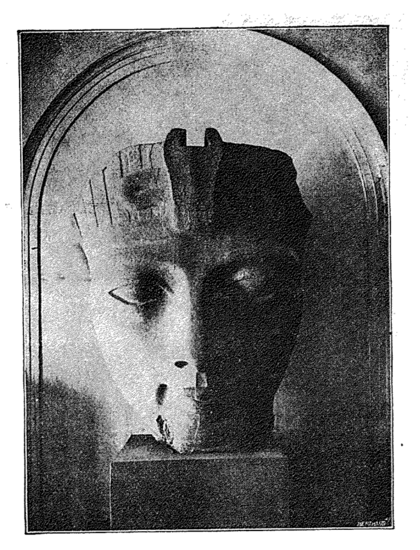
رعمسيس الثانى هو من ملوك الاسرة ١٩ وطول جثته ١,٨٠ متر وهى فى تابوت من الخشب على شكل ازوريس نقش على صدره اسمه ولقبه وبه نقوش أخرى تفيد أن الملك حريحور فى السنة الرابعة من حكمه أصلح جثة هذا الملك وأن رئيس الكهنة المدعو (بريت) أخرجها من قبر سيتى الأول ، وان رئيس الكهنة (بانتمو) نقل جثتى هذين الملكين إلى قبر الملك امنوفيس الثانى

رأس مومية رعمسيس الثانى

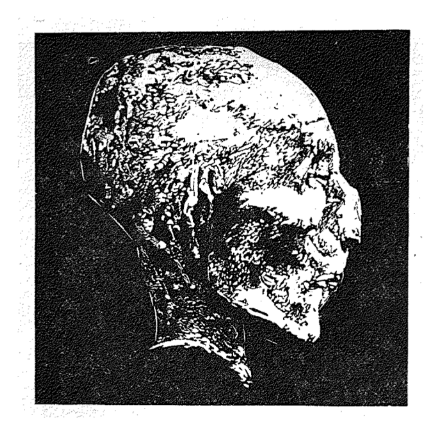
وتفيد المعلومات التاريخية ان التابوت الأصلى لهذا الملك تلاشى فجدّد بدل تابوته الحالى رئيس الكهنة (بانتمو) ، ولون جثته طبيعى وهو أول جثة استطاع المحنطون فيها حفظ ألوان الأجسام . ومن الغريب أن أسنانه محفوظة تماما رغما عن كبر سنه

وقطع المحنطون أعضاءه التناسلية حسب عاداتهم ووضعوا الحنة فى يديه ورجليه

وهو من مشاهير الفراعنة طال حكمه ٦٧ سنة وشيّد كثيراً من الآثار فى أبى سنبل والكرنك والأقصر وأبيدوس وممفيس وبوباستيس وبلغ عمره نحو مائة سنة وجثته بالمتحف المصرى بالطبقة العليا تحت رقم ٣٨٧٦ بقرب القاعة الذهبية



رأس تمثال رعمسيس الثانى بحجم كبير عثر عليها بميت رهينة وهى من محفوظات المتحف المصرى بالطبقة السفلى بالطرقه N تحت رقم ٦٧١



(رأس مومية منفتاح فرعون موسى)

طول جثته ١ متر ٧٤ سنتيمتر وهو ابن رعمسيس الثاني ونقش اسمه على صدره بالخط الهيراطيق وهو معروف من الروايات الاسكندرانية بأنه فرعون موسى وهو الذي غرق في البحر الأحمر

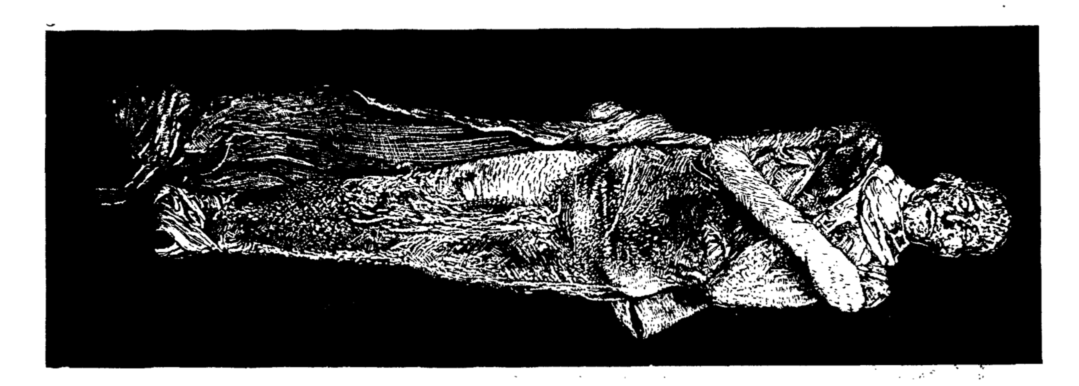
وجثته بالمتحف المصري بالطبقة العليا تحت رقم ٣٨٧٩ امام قاعة الذهب وفحصت جثته سنة ١٩٠٨ وعرفت ان صاحبها هرم وفيه ملامح كثيرة من أبيه رعمسيس الثاني وانه مات من تصلب الشرايين

وجاء بعده الملك سبتاح وسيتي الثاني اللذان شوه اللصوص موميآتهما

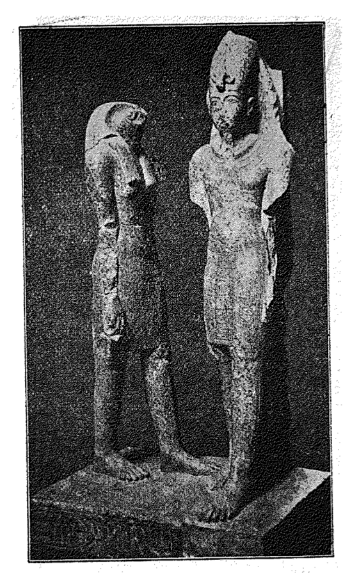


رأس مومية سيتى الثانى

طول الجثة ١ م ٦٤ س استخرجت من قبر الملك أمنوفيس الثانى وشوهدت فى رأسه فتحة يعتقدون خروج الروح منها، أو ان ذلك خاص بالأرواح الشريرة . وقال بعض المؤرخين ان هذه الفتحة عملت لأخراج المخ منها ؛ ومناظر وجهه تبيّن بانه مات حديث السن . وجثته بمحفوظات المتحف المصرى بالطبقة العليا بالطرقه K بخزانة حرف R تحت رقم ٣٨٨٠ وهو آخر ملوك الأسرة ١٩، وخلفه بعده الملك ستنخت الذى أسس الاسرة ٢٠ وسميت أسرة الرعامسة وعددهم تسعة ولم نعثر على جثته .

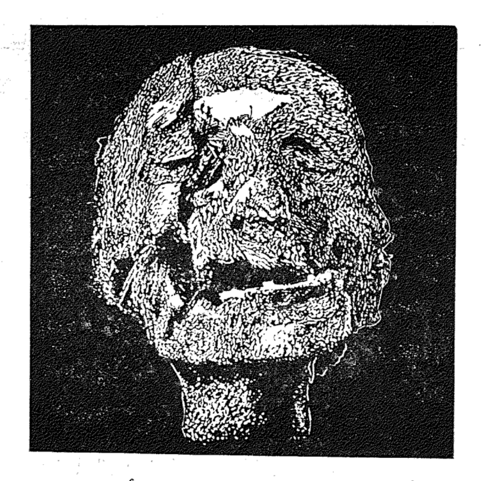


مومية الملك رعمسيس الثالث (الأسرة ٢٠) طولها ١ متر ٦٩ س ولفائفها حديثة العهد صنعها الملك (بانتمو) فى السنة الثالثة عشرة من حكمه كما يشير اليه المحضر المحرر على كفنه . والجثة محفوظة بالمتحف المصرى بالطبقة العليا بالطرقة K رقم ٣٨٦٩



رعمسيس الثالث

قطعة واحدة من الحجر الجرانيت الوردى منقولة من مدينة هبو ترى فيها المعبودين حورس وست أو تحوت وهما يضعان التاج على رأس الملك رعمسيس الثالث غير أن تمثال ست او تحوت فقد فلم يوقف له على أثر . والأصل بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى بالقاعة O رقم ٧٦٥



رأس مومية الملك رعمسيس الرابع (الأسرة ٢٠)

طولها ١ م ٦٠ س وهى فى تابوت ملون بألوان بيضاء، وهو ابن الملك رعمسيس الثالث، اكتشفها المسيو لوريه سنة ١٨٩٨ فى قبر الملك امنوفيس الثانى، وملامح الجثة تدل على أن هذا الملك مات فى سن الخمسين، وكان أصلع الرأس وجثته تامة، وفى الرأس فتحة مثلثة عملت فى التحنيط والجثة بالمتحف المصرى بالطبقة العليا بالطرقة K رقم ٣٨٦٥

رعمسيس الخامس طول الجثة ١ م ٧٧ س اكتشفها المسيو لوريه سنة ١٨٩٨ فى مقبرة امنوفيس الثانى، وقد أتلفها اللصوص وأصلحها الكهنة، واسمه مكتوب على صدره بالمداد الأحمر، وملامحه تدل على انه مات بداء الجدرى، وفى صدغه الأيسر فتحة ربما عملت بعد الوفاة للتحنيط

أوأنها من آثار جراحة في حياته كانوا يحدثونها طلبا للشفاء من هذا الداء ولا زالت هذه العادة متبعة عند بعض البرابرة فى السودان اذا اصيب أحدهم بالجدرى ،والجثـة محفوظة بالمتحف المصرى بالطبقة العليا بالطرقة حرف K رقم ٣٨٦٦ (انظر صحيفة ٦٨ من هذا الـكتاب)

أما رعمسيس السادس فلم توجد جثته،وأهم ماعلم عنه انه مات اكبر سنا من رعمسيس الخامس وأصغر من رعمسيس الرابع وهو آخر الملوك الرعامسة الذين أمكن اكتشاف جثثهم المحنطة

التحنيط في عهد الاسرة ٢١

بلغ إتقان التحنيط فى عهـد الأسرة ٢١ مبلغا فائقا ، وابتـدعوا له طريقتين الأولى وضع المواد التحنيطية فوق الجثة ،ثم قرروا وضع مثلها تحت الجلد لتكون دائمة الحفظ كرونقها الطبيعى فى الحياة الدنيا

ويوجد من الجثث التى حنطت بمقتضى هذا النمط الجديد نحو تسع جثث للملوك ونحو ٤١ للـكهنة جميعهم من عهد الأسرة ٢١ ، وفحصها واختبرها العلماء فتأكدوا من متانة هذا التركيب ؛ ومنها جثة الملكة (نظمة) زوجة الملك حريحور رأس هذه الأسرة فى طيبة . واستعمل المحنطون لها هاتين الطريقتين كما استعملوهما فى تحنيط باقى الجثث الملـكية من بعد ذلك التاريخ لتـكون فى حفظ دائم كما تقدم القول تسهيلا فى التعارف على جسمها الثانى (الـكا) ، واستغنوا بهذه الطريقة عن التماثيل التى كانت تنوب عن الجثـة المحنطة ،وكان يعتنى بها ملوك الدولتين القديمة

والوسطى.وفى سنة ١٩٠٤ أجرى الباحثون فحص نحو ٤٤ جثة للكهنة والكاهنات واستنتجوا من مواصلة التدقيق والمجهودات العلمية ان المحنطين نبغوا الى درجة قصوى استطاع بها العلماء بعدهم معرفة الأمراض المسببة للوفاة . ومن ذلك عرفنا أن بعضهم مصاب بداء فى احدى عظيمات العمود الفقرى وكان هذا الداء يعرف بداء بوت (Pott) (راجع صفحة ٥٥ من هذا الكتاب)

واستطاع المحنطون أيضاً تلوين الجثث باللون الأحمر . وفى عهد البطالسه أبدل هذا التلوين بوضع الورق السميك عليها

التحنيط في عهد الاسرة ٢٢
وأدوار تلاشيه بعدها

لم ينل التحنيط حظه من العناية فى عهد هذه الأسرة ليبلغ المزيد الذى كان ينتظر بتقدم العصور وارتقاء المدارك ؛ بل جاء تاريخ هذه الأسرة فيه بداية انحطاطه وتلاشيه تدريجيا . والجثث التى وجدت فى سائر المتاحف مما حنط فى عهدها دالة على تأخر التحنيط فيها الى درجة محزنة

ويوجد بالمتحف المصرى بالطبقة العليا بالطرقة حرف K خزانة حرف A تحت رقم ٣٨٤٩ تابوت فيه جثة كاهن المعبود أمون واسمه (زدفتا حنوخو) من الأسرة ٢١ حفظت فى عهد الملك شىشنق،ووجدت فى مقابر الدير البحرى ،وتحنيطها يدل على انه لم يكن بالعناية المعتادة لمثله فى ايام الأسرة السابقة

لم يبحث العلماء الجثث المحنطة فى ايام الفرس والبطالسة والرومان ، ومتحفنا فيه كثير منها بالطبقة العليا . وكانت جثث تلك العصور قابلة للانحلال خصوصاً جثث النساء . وقال هيردوت فى تعليل ذلك ان زوجات العظماء كانوا لا يسلمونها الى المحنطين إلاَّ بعد اربعة أيام من الوفاة حتى لا يفتتن المحنطون بمظاهر الجمال التى كانت تمتاز به هذه السيدات فى ذالك الوقت

ولوحظ ان أحد المحنطين أساء التصرف فى جثة امرأة جميلة وبلّغ عنه وعوقب من أجلها ، ولهذه الأسباب لم تكن عملية التحنيط لاولئك النسوة على ماينبغى من البراعة والعناية لأن ديدان التعفن الرمى يكون قد سرى الى الجثة وأفسدها

وَكَمْ فِى الموت مِنْ عِظَةٍ وَلكنْ
فَسادُ النفْسِ مِنْ مَرَض الجُنُونِ

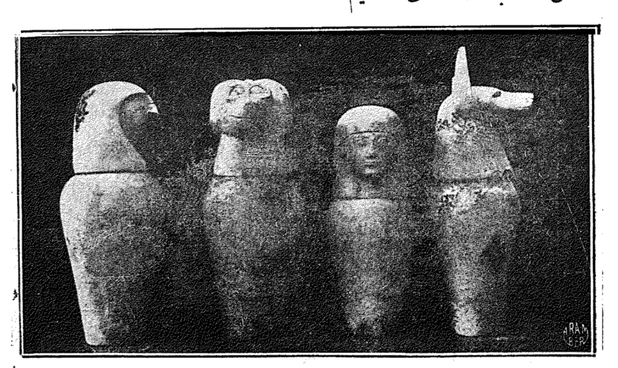
ملحقات المومية كالتوابيت ونحوها

كان الأقدمون يجعلون لتوابيت الجثث المحنطة أحمالاً ترتكز عليها من أطباق خزفية أو علب حجرية أو قطع خشبية ، ويكتبون عليها وعلى جدران القبر نقوشاً تتضمن اسم صاحب الجثة وألقابه وأشهر أعماله فى تاريخ حياته ، ثم اقتصدوا في العمل واكتفوا بكتابة ذلك فى التابوت فقط

وقد وجدت فى سقاره توابيت خشبية من تاريخ الأسرة السادسة. ويوجد بالمتحف المصرى توابيت من نوعها من عهد الأسرتين الخامسة

والسادسة .وأغلب النقوش على التوابيت فى عهد الدولتين القديمة والوسطى مأخوذ عن نصوص كانت معتادة لكتابتها فى التوابيت فقط ، وفى عهد الدولة الحديثة أخذت هذه النقوش من كتاب الموتى، ثم تفننوا فى ايجاد نقوش حول التوابيت كالزينة والأفاريز والأشياء التى يعتقدون لزومها للميت فى عالمه الثانى، وكانوا يضعون الجثة فى التابوت الى يسارها ؛ ويضعون فى محازاة الوجه على خارج التابوت صورة عينين كأنهما مطلتان الى الشمس والقمر اشرافا على حوادث الكون ولحفظ رأس المتوفى من الأرواح الشريرة

وأحيانًا كانوا يستعملون توابيت متعددة بداخل بعضها ؛ واستعملوا بعض توابيت حجرية للملوك ، ومن هذا النوع تابوت خوفو الحجرى المحفوظ فى هرمه ؛ وكانت لفائف الكتان المجمولة للجثث تختلف فى الطول وفى النوع ، وكانوا يضعون على الرأس وقاية من الورق السميك أو أطباق من الذهب للدلالة على التعظيم



الأوانى الأربعة المعدة لحفظ الأحشاء

الأوانى الاربعة المعدة لحفظ الاحشاء

الأوانى المعدة لحفظ الأمعاء وقت عملية التحنيط تدعى فى اصطلاح علماء الآثار (كانوب) وهى أربعة. ووجد من نوعها فى عهد الدولتين القديمة والوسطى. وكانوا يرسمون عليها صورة انسان فى بادىء الامر، وفى الدولة الحديثة كانوا يرسمون على اولاها صورة صقر والثانية صورة قرد والثالثة صورة انسان والرابعة صورة ابن آوى، واصطلحوا على أن توضع فى الأولى الى يسار هذا الرسم المعدة تحت حماية المعبود دياموتف (Duamutef) وفى الثانية الأحشاء تحت حماية المعبود (قبح سنيوف) (Qebeh Snewef) وفى الثالثة الكبد تحت حماية المعبود ايمسيتى (Imsety) وفى الرابعة الرئتان تحت حماية المعبود حعپي (Hapi). وقال ديودور الصقلى ان القلب والكلا لم يوضعا مع باقى الأحشاء، بل تركا فى مكانهما. وفى بعض الأحيان كانوا يخرجون القلب من الجثة ولكن لم يضعوه مع الأحشاء

التمائم

أول مابدى وضع التمائم مع الأموات كان فى الأسرة الأولى، وبقى استعمالها حتى العصر المسيحى. وفى العصور القديمة كانوا يكتبون على الورق البردى نصوص الأهرام وغيرها. وفى الأسرة ١٨ وضعوا مع الموتى ورقة بردية مكتوب عليها كتاب الموتى ويضعون أيضاً تماثيل صغيرة تسمى المجيبات (أوشابتى اى التى تجيب الدعاء) لاعتقادهم انها تدافع عن الميت يوم الحساب، ويقولون ان منها ماكان يجيب عن الميت عند سؤاله

ومناقشته الحساب، ومنها ما كان ينوب عن الموتى فى الاعمال التى كان يطلب أزوريس قيامهم بها . وتوجد بالمتحف المصرى كمية من هذه التمائم بالطبقة العليا بالقاعة حرف G فى الخزانتين I،J (وانظر رسم أشهرها فى هذا الكتاب صحيفة ٨٦)

علاقة التحنيط بالطب وعلم الامراض

أثبت الباحثون ان تاريخ التحنيط مرتبط بالطب فى أوجه كثيرة لأن المحنطين استفادوا بخواص الصمغ الصنوبر وخواص البلسم وكثير من مركبات المواد المعدنية والنباتية المستعملة فى فنهم،واقتنعوا بخواصها فى مضادة التعفن،واستعملوها فى عقاقيرهم بعد الاسترشاد بها عقب كل بحث فى فوائدها لمعرفة أنواع الأمراض التى سببت وفاة الموتى ؛ فهم لم يثبتوا سبب الوفاة على الجثة المحنطة الاّ بعد التأكد من هذه البيانات العلمية وان كانت هذه المواد قليلة فى ذاتها .

وقد اكتشفوا جثة يرجع تاريخها الى ماقبل الأسر الفرعونية مصابة بالحصو فى الحوصلة ؛ وأخرى من الأسرة الثانية مصابة بالحصو فى الكلا، وجثة ثالثة يرجع تاريخها الى ما قبل الأسر الفرعونية وفحصها الاستاذ شاتوك (Chattouk) ،فأثبت أن بها بعض بويضات البلهرسية ،وفحص السر روفر جثة أخرى يرجع تاريخها الى الاسرة ٢١ فوجدت بها بويضات البلهرسية

وكثير من الموميات ماتت بتصلب الشرايين ؛وعثروا بين موميات

كهنة المعبود أمون للأسرة ٢١ على جثث احداها ماتت بداء عظيمات عمود الفقرى وكان يعرف عندهم بمرض (Pott) نسبة الى الطبيب الانكليزى الذى اكتشفه

ولم يظهر بين هذه الجثث مايدل على إصابات بداء اعوجاج العظام أو الموت بالتشويش (داء الزهرى) أو السرطان عند قدماء المصريين

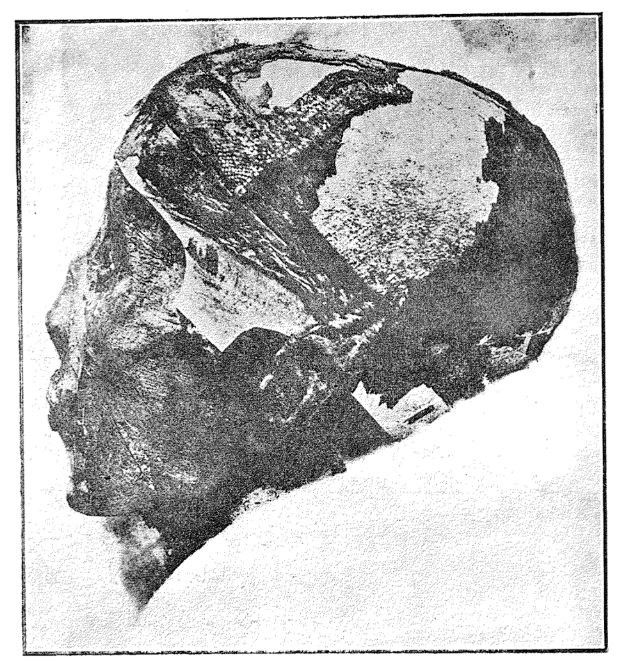
وعثروا على جثة من الأسرة الخامسة مصابة بالشوكة الظهرية ؛ وثمانية جثث محنطة فى بلاد النوبة ماتت بداء السل فى عهد الدولة الوسطى

وكانت أسنان الموميات قبل الأسر الفرعونية وما يليها سليمة ، ولكن وجدت أسنان بعض موميات الملوك نخرها التسوس . وكان المرض المعروف بالالتهاب المفصلى منتشراً عندهم وعثروا على جثة من النوبة من العصر البيزنطى مصابة بذيل اللفاف الأعور وجثة أخرى من العصر المسيحى مصابة بداء البرص وكان الملك رعمسيس الخامس مصاباً بالجدرى كما تقدم

قبر الملك توت عنخ امون

واعتداء اللصوص على القبور الملكية

لفظة مومية كلمة فارسية تعريبها الشمع والمصرية القديمة (وتا) أو (وتو) أو (ستنخ) او (سدخ) او (كس) واصلها (كرس) وبالقبطية (كريس) وباليونانية (انتافياسموس) وأطلقت باللغات الأوربية والعربية أخيراً على كل جثة محنطة



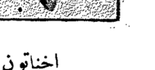
رأس مومية الملك توت عنخ أمون

بعد رفع اللفائف عن جثة هذا الملك تبيّن أن درجة حفظ جثته لم تكن تامة ، ويدلُّ هيكله العظمىُّ على أن نموه الطبيعى لم يكن كاملاً ، وأن ملامحه تشبه كثيراً ملامح الملك اخناتون



توت عنخ أمون





اخناتون

والاكتشاف الذى أجراه اللورد كرنرفون والسر هوارد كارتر فى قبر هذا الملك أوجب اهتماماً كبيراً فى العادات المصرية القديمة الجنازية . وقد ساعد الاهتمام بهذا القبر على بقائه سليماً الى وقت استخراجه، وهو الوحيد فى نوعه . وكان القدماء الى عهده يضعون بكثرة العاديات القديمة من الذهب فى القبور ، ولهذا بذل اللصوص جهدهم حتى تمكنوا من سرقتها منذ أجيال ماضية ، وان موميات الملوك السابق ذكرها تهشم كثير منها بأعمال اللصوص الذين أفرغوا استطاعتهم فى سرقتها ولم يحترموا القبور ولا كرامة أصحابها

وعثر الباحثون على كثير من الأوراق البردية وقطع من الخزف كتبت عليها محاضر عديدة عن سرقات قبور طيبة

ومن المعلوم ان الشاطىء الشرقى فيها كان مدينة الأحياء ومستقراً لأقامة الفراعنة ورجال بطاناتهم، اذ كانت هى عاصمة المملكة المصرية فى العصور الخالية ، وفى شاطئها الغربى كانت أهم المقابر، ولأجلهم سميت مدينة الأموات . وفى هذا الجبل تجد وادى الملوك والملكات للأسرة ١٨ الى العشرين فتح بعضها فى عهد البطالسة كما تدل عليه النقوش المكتوبة فوق

جدرانها ، والبعض الآخر انهالت عليه الرمال فحجبته عن الأنظار، واكتشف جانب منها فى العصور الحديثة . وبالعثور على قبر توت عنخ أمون اكتشفنا كنزاً عظيما ،لانه كان ملكا مجهولا وكان زمن حكمه قصيرا. وعلمنا كيف كان قبر الملكين العظيمين سيتى الأول ورعمسيس الثانى اللذين كان حكمهما زمناً طويلا ،وكان عصرهما زاهراً ، ومدة حكم الملك رعمسيس الثانى ستين سنة ، وقد حفر لقبر الملك سيتى الأول ثلثمائة قدم فى الجبل ويحوى ١٥ طرقة وحجرة ،وفى قبر الملك رعمسيس الثانى عشرون حجرة،وهكذا نرى قبوراً أخرى متلاصقة للملوك أكبر حجما ومشاهدتها تنبىء بان أولئك الملوك استخدموا فيها آلافا من العمال . ولما أتموا عملها جعلوا لكل مقبرة كهنة وحراسا خصوصيين

وقد عثرنا على كثير من الأوراق البردية الشاملة أنواع السرقات من قبور أولئك الملوك ،وعدد من أمكن ضبطهم من اللصوص ، وأنواع العقوبات التى عوقبوا بها لردع الغير عن الاقتداء بهم فى أعمالهم الفظيعة . وكثيرا ما كان رؤساء كهنة المعبود أمون ينقلون جثث الملوك الى مقبرة أخرى حرصا منهم على كرامتها حتى لا تمتد لها أنظار اللصوص، ولا تفعل أيديهم فى نبشها الفظائع التى تأباها الانسانية وتقشعر منها الاذواق القويمة.

بيان ما اكتشف من مقابر الملوك وجثثهم وأولهم سكننرع من الأسرة ١٧ الى رعمسيس ١١ من الاسرة ٢٠

الاسرة	الاسم	المحال التى وجدت فيها الجثث المحنطة	محال القبور	ملحوظات خاصة بهذه القبور
١٧	سكننرع	بالدير البحرى	لم يكتشف	
١٨	اعحمس الاول	» »	» »	
١٨	امنوفيس الاول	» »	بذراع أبى النجا	اكتشفه كرنرفون وكارترن سنة ١٩١٤
١٨	تحوتمس الاول	» »	بأبواب الملوك نمرة ٣٨	» لوريه سنة ١٨٩٩
١٨	تحوتمس الثانى	» »	» » » ٤٢	يحتمل ان يكون هذا القبر لهذا الملك
١٨	تحوتمس الثالث	» »	» » » ٣٤	اكتشفه لوريه سنة ١٨٩٩
١٨	حتشبسوت	لم يكتشف بعد	» » » ٢٠	» تيودور دافيس سنة ١٩٠٣
١٨	امنوفيس الثانى	فى قبره	» » » ٣٥	» لوريه سنة ١٨٩٨
١٨	تحوتمس الرابع	فى قبر امنوفيس الثانى	» » » ٤٣	» » » ١٩٠٣
١٨	امنوفيس الثالث	» » » »	» » » ٢٢	اكتشفته بعثة نابليون
١٨	امنوميس الرابع	» » الملكة تى	بتل العمارنة	اكتشف المسيو دافيس قبر الملكة تى سنة ١٩١٧
١٨	سمنكارع	لم يكتشف الى الآن	لم يكتشف الى الآن	
١٨	توت عنخ أمون	فى قبره	بأبواب الملوك	اكتشفه كرنرفون وكارتر سنة ١٩٢٢

١٨	اى	لم يكتشف الى الآن	بأبواب الملوك نمرة ٢٣	كان له قبر سابق بتل العمارنة
١٩	حور محب	» » » »	» » » ٥٧	اكتشفه ديودور دافيس سنة ١٩٠٨
١٩	سيتى الأول	بالدير البحرى	» » » ١٧	» بلزونى سنة ١٨١٧
١٩	رعمسيس الثانى	» »	» » » ٧	
١٩	منفتاح	بقبر امنوفيس الثانى	» » » ٨	
١٩	امنمسس	لم يكتشف بعد	» » » ١٠	
١٩	سبتاح	فى قبر امنوفيس الثانى	» » » ٤٧	اكتشفه المسيو دافيس
١٩	سيتى الثانى	» » » »	» » » ١٥	
٢٠	ستنخت	لم يكتشف بعد	» » » ٥	
٢٠	رعمسيس الثالث	الدير البحرى	» » » ١١	قبر نمرة ٣ بدأه هذا الملك ولم يتممه
٢٠	» الرابع	قبر رعمسيس الثانى	» » » ٢٠	
٢٠	» الخامس	» » »	» » » ٩	قبر نمرة ٩ شيده رعمسيس الخامس
٢٠	» السادس	» » »	» » » ٩	وانتحله رعمسيس السادس
٢٠	السابع	لم يكتشف بعد	لم يكتشف بعد	
٢٠	الثامن الى ١١	» » »	بأبواب الملوك ١٨٦٦١	

عناية الحكومة المصرية من قديم الى الآن
بالمحافظة على العاديات القديمة

منذقديم وضعت الحكومة ترتيبات نظامية تتبع فى المحافظةعلى الآثار بوجة عام وعلى مقابر الملوك بوجه خاص ، وعلى مايكافأ به كل انسان يرشد عن شىء من هذا القبيل وكيفية انتفاع المجدين فى استخراج مايوجد من الدفن فى الأراضى والبقاع حتى لاتبقى الأشياء النفيسة فى ذاتها عرضةلان تلتهمها بطون الأرض ويحترم بنو الانسان من الانتفاع بها وهى(تشجيعاًعلى اتباع أوامرها وتشويقاً لمن يمكنهم التبليغوالاحتفاظبهذهالنفائس والانتفاع بالفوائدالقانونية)قدوضعت مجموعة بهذه الاوامر، ونحناتماماًلفائدةالمطلعين ننشر خلاصتها حتى لاتبقى مقاصد الحكومة النافعة للعمران سراً مكتوماًفى الصدور لايعرفه ولا ينتفع به الا أفراد قلائل فى أطراف الاقاليم

قانون نمرة ١٤ لسنة ١٩١٢
خاص بالآثار

مادة ٤ — يجوز الاتجار أيضاً بالآثار الخاصة بمجموعات اقتناها بعض الافراد بسلامة نية

مادت ٨ — يسوغ للحكومة أن تنقل متى شاءت أى اثر عقارى يكون فى ملك أحد الافراد أو أن تبقيه فى محله وتنزع ملكية الارض

مادة ٩ — كل مكتشف أثراً عقارياً وكل مالك أومستأجر أوكل مستول على أرض يظهر فيها أثر عقارى يلزمه أن يبلغ فى الحال عن ذلك إماالى السلطة الادارية الاقرب اليه وإما الى رجال مصلحة الآثار فى تلك الانحاء

مادة — ١١ من يكتشف أثراً منقولا بطريق الحفر الغير الجائز ويعمل بما تقتضيه أحكام المادة السابقة يعطى نصف الاشياء المكتشفةأونصفقيمتها جزاء له

مادة ١٢ — لايجوز لاى انسان عمل مجسات أو حفائر أو كسح أتربة للبحث عن آثار ولو تكون الأرض ملكه مالم يكن فى يده رخصة بذلك صادرة اليه من نظارة الأشغال بناء على طلب مدير عام مصلحة الآثار

الماده ١٥ ـ يجوز لمصلحة الآثار الترخيص بأخذ السباخ من المحلات التى فيها سباخ بالشروط التى تقررها أما الآثار التى يعثر عليها أثناء استخراجه فيجب التبليغ عنها وتسليمها فى الحال للخفراء المنوطين بملاحظته

تعريب قرار نمرة ٥٠ من نظارة الأشغال العمومية فيما يختص بقانون الرخص التى تعطى للاتجار بالعاديات رقم ٨ ديسمبر سنة ١٩١٢

مادة ١ — رخص الاتجار بالآثار التاريخية نوعان :

(الأول) رخص لتجار الآثار التاريخية فى الحوانيت ؛

(الثانى) رخص لعارضى الآثار التاريخية للبيع .

فتجار النوع الأول مرخص لهم وحدهم فتح حوانيت لبيعها ولكن لايجوز لهم المتاجرة بها خارج حوانيتهم أو مايماثلها من المحال الوارد ذكرها فى رخصهم ،أما عارضو الآثار للبيع فليس لهم أن يبيعوا من الأشياء التاريخية إلا صغيرها ؛ ولا يجوز قط أن يتعدى ثمن القطعة الواحدة منها خمسة جنيهات مصرية وذلك بعرضها فى المكان أو أحد الأمكنة الوارد ذكرها فى رخصهم .

مادة ٩ ـ كل تاجر بالآثار أو عارضها للبيع يقدم على الاتجار أو البيع بدون رخصة يعاقب بالحبس مدة لاتتجاوز سبعة أيام وبغرامة لاتتعدى جنيهاً مصرياً أو باحدى هاتين العقوبتين ولا يخل ذلك بالعقوبات الواردة فى المادة السابعة من قانون الآثار التاريخية المتقدم ذكره، وكل مخالفة أخرى لأحكام هذه اللائحة يعاقب المخالف عليها بواحدة من العقوبتين المتقدم ذكرهما وكل أثر نشأت عنه المخالفة يحجز ويصادر لجانب الحكومة

رقم ٨ ديسمبر سنه ١٩١٢ نمرة ٥٢ فيما يختص بأعمال الحفر
للبحث عن الآثار التاريخية

مادة ١ — رخص الحفر تعطيها نظارة الأشغال بناء على طلب جناب مدير مصلحة الآثار التاريخية العام بعد موافقة لجنة العاديات المصرية على ذلك . ثم لا يجوز للمدير العام إصدار رخص مؤقتة للحفر أو الجس الابتدائى الىمدة لاتتعدىشهراً بشرط أن يعرض على النظارة ولجنة الآثار فى أقرب جلسة .

مادة ٢ — لا تعطى الرخص الا للعلماء المكلفين بمهمة لهذا الشأن أو لمن توصى بهم الحكومات والجامعات أو المجامع العلمية أو جمعيات معارف رسمياً وللافرادالذين يعول على مقدرتهم وكفاءتهم .وعلى أولئك الافراد اذا لم يكونوامعروفين بأعمال الحفر على الآثار أن يعتمدوا فى إدارة العمل على عالم شهيرله الاختبار المطلوب

مادة ٥ — ترسل طلبات الرخص الىمدير مصلحة الآثارالتاريخية العام بمدينة القاهرة قبل الخامس والعشرين من شهر أكتوبر من كل سنةبقدر الامكان والآثار المنقولة التى يكتشفها المرخص له فى أثناء الحفر الذى يباشر بحسبأحكامرخصة تقسم بينه وبين الحكومة

وسيصدر قانون قريباً يقضى باستلام الحكومة جميع الآثار المكتشفة لتأخذ منها ماتراه لازماً لها وتسلم الباقى لصاحب الرخصة، وبهذا يبطلقانون القسمة المناصفة للعاديات المكتشفة

فهرست الرسوم الموجودة فى هذا الكتاب

صفحة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

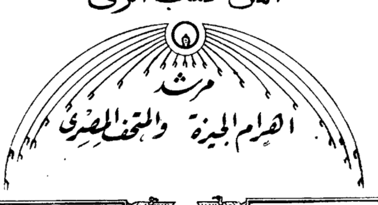
﴿ فهرست هذا الكتاب ﴾

صحيفة

صحيفة

صفحة

أثمن كتاب أثري



خوفو

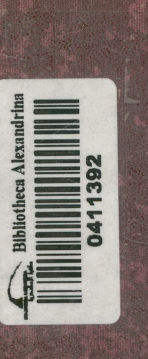
وضعه

أنطون زكي

أمين دار كتب المتحف المصري

تلك آثارنا تدل علينا

فانظروا بعدنا إلى الآثار


Bibliotheca Alexandrina
0411392